نظرات في
قدرة الله وآياته

محمد حسن قنديل



نظرات فى قدرة اللّٰه وآياته

بسم الله الرحمن الرحيم

تأمل قدرة الله

منذ البداية والإنسان جنيناً فى بطن أمه ...، وبعد أن خرج طفلاً لا يدرك شيئاً كان كل شىء فى خلقه بقدر وحكمه ..، يقول تعالى (إنا كل شىء خلقناه بقدر) ..، فالإصبع الخامس فى القدم بجوار الأربعة لعدم حاجة الإنسان إلى استعماله فى القبض على الأشياء، ولكن الأصبع الخامس فى اليد على مسافة ، ليتمكن الفلاح من أن يقبض على فأسه ، والعالم من أن يمسك بالقلم ...، ولن يستطيع الإنسان أن يبتلع الطعام جافاً ، فجعل سبحانه الغدة اللعابية تحت اللسان لإفراز الماء لتسهل عملية إبتلاع الطعام وجعل القواطع الحادة فى الأمام ليسهل قطع الطعام وجعل الضروس العريضة فى الخلف لأنها لا تصلح للقطع ولكن يتم بها طحن الطعام ...، وبمرور السنين تمكن الإنسان بخبرته من معرفة أن الإناء الذى يحتوى على الدهون يمكن تنظيفه بمادة حمضية كالليمون مثلاً ، فجعل الله تعالى للإنسان منذ أن كان جنيناً لا يدرك شيئاً حويصلة تسمى بالحويصلة المرارية لهضم الدهون وتحويلها إلى مستحلب دهنى بالإضافة إلى العصارة الحمضية التى تفرزها المعدة ....، ومن يسير فى الأرض ويتأمل يجد أن أغلب الشجر أملس والنخلة بالذات لعلوها فيها الدرجات كالسلم ليتمكن الإنسان من الصعود والانتفاع بثمرها ...، والبط له غشاءً جلدياً بين أصابعه بخلاف الدجاج ليتمكن من العوم فى الماء ...، والجمل شفته العليا مشقوقة لأنه يتناول النباتات الشوكية الخضراء والأشواك تتشعب لأعلى مما يؤثر على شفته العليا ويحميه من ذلك هذا التصميم الإلهى ، كذلك فإن كف القدم لا ينثنى لعدم حاجة الإنسان لذلك وكف اليد ينثنى لحاجته لأن يمسك بالأشياء فسبحان الخبير ، القادر البديع ...،

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله وحده...، والصلاه والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين...، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً...، نشهد أنه صلوات الله وسلامه عليه بلغ الرسالة....، وأدى الأمانة...، ونصح الأمة...، وكان الرحمة المهداه من الله للعالمين...، وبعد...،

فلقد شهد الكون بالوحدانية لله، حيث أن جميع عناصر الكون فى طواف وحركة، وتسبيح، وكل نجم...، وكل مجموعة...، وكل مجره...، يَسبح الجميع فى فلكه دون خلل أو إختلاف...، خلق سبحانه كل شئ بقدر...، فالجمل مثلاً قدمه وسادة لينة لتمنعه من الغوص فى رمال الصحراء...، والشفه العليا مشقوقة ليتمكن من تناول أشواك الصحراء...، والطيور التى تعوم فى الماء أرجلها مفلطحة لها غشاء جلدى تستعمله كمجداف...، والطيور التى لا تنزل الماء كالدجاج ليس لها هذا الغشاء...، ولن يستطيع الإنسان أن يبتلع الطعام جافاً، فجعل سبحانه الغدة اللعابية تحت اللسان لإفراز الماء لتسهل عملية إبتلاع الطعام...، وجعل بقدرته القواطع الحاده فى الأمام ليسهل قطع الطعام، وجعل الضروس العريضة فى الخلف، فهى لا تصلح للقطع ولكن يتم بها طحن الطعام...، ولقد تمكن الإنسان بإخبارات العلماء من معرفة أن الإناء الذى يحتوى على آثار الدهون يمكن تنظيفه بمادة حمضية كالليمون مثلاً، فجعل الله تعالى للإنسان منذ أن كان جنيناً لا يدرك شيئاً حويصله تسمى بالحويصله المرارية لهضم الدهون وتحويلها إلى مستحلب دهنى، بالإضافة إلى العصارة الحمضية التى تفرزها المعدة...، كذلك فإن أغلب الشجر أملس والنخلة بالذات لعلوها فيها الدرجات كالسلم لينتفع الإنسان بثمرها...، والإصبع الخامس فى القدم بجوار الأصابع

الأربعة، ولكنه فى اليد على مسافة ليتمكن الفلاح من أن يقبض على فأسه والعالم من أن يمسك بالقلم...، وصيوان الأذن يعمل على تجميع الصوت ليتمكن الإنسان من السماع بوضوح، وحتى لا ينحرف الصوف مع إندفاع الهواء...، إنها هندسة الله الصانع المبدع...، إن المسافة بين الأرض والشمس بقدر، فلو إقتربت الشمس لاحترقت الكائنات، ولو بعدت لتجمد كل شئ...، كذلك فإن حجم الأرض وحجم القمر بحكمة وقدر...، فلو زاد حجم القمر لتمكن من جذب سطح الماء ولأغرق المد سطح اليابسه فى لحظات...، ولو قل حجم الأرض لقل جذبها للغلاف الغازى الذى يعمل عل حمايتها من الأشعة الضارة، ورجع الصوت، والضوء، والمطر، وغيره، ولأفلت هذا الغلاف من جذب الأرض إلى أفق الفضاء الكونى...، ولقد أكتشف العلماء فى عصرنا الكثير من الحقائق العلمية...، والطبية والكيميائية...، والفضائية...، ووجدوا كل ما أكتشفوه بعد البحث الطويل، واستخدام الأجهزة الحديثة التى لم تكن فى عصر الرسول ﷺ مطابقاً تماماً لما أخبر به...، لقد أكتشفوا كروية الأرض...، وانشقاق القمر...، والنجوم الكانسة...، والطارقة...، ورجع السماء...، وغير ذلك الكثير من الحقائق التى أشار إليها القرآن الكريم...، وغير ذلك أيضاً عن الحقائق العلمية، والنبوءات التى أخبر عنها رسولنا ﷺ وأشارت السنة النبوية إلى كل ذلك بأبلغ البيان...، فسبحان الله فى كل وقت وحين..، والحمد لله أن زحف الإسلام يمتد...، والحمد لله أنه سبحانه يرينا آياته فنعرفها...، ومع هذا الكتاب نسبح مع بعض الومضات القرآنية عن الإعجاز العلمى فى القرآن...، نسأل الله تعالى أن يوفقنا لكل خير...، وأن يوفق من ساعدوا على إخراجه ونشره...، وسبحان الله والحمد لله رب العالمين...،

حقائق .. وعبر وتأملات

ينسى الإنسان احياناً نفسه....، ويخطو بقدميه وينظر بعينيه ويحلم أحياناً بلا حدود...، ومن دروس الحياه، يتعلم الإنسان ويصبح بارعاً فى صنعته، ولكنه كثيراً ما ينسى الحقيقة، وهى أنه فى النهاية لم يصنع شيئاً، فهناك حيث لايرى صانعاً حقيقياً، هناك الرسالة التى نغفل عن قراءتها، وفيها الإشارة الواضحة لمن يعود بالذاكرة ويتدبر كلماتها وآياتها ويتفكر فى نفسه، إشارة تحمل فى معناها عبارة بارزة تقول "كل شئ مصنوع بقوة الله وقدرته"...، ونضرب أمثلة لذلك...، أنظر للعماره العالية وتأمل حجمها وطوابقها والهندسة التى تبدو فى تكوينها من شرفات ومصاعد وحجرات للمعيشة، ثم قارن هذا الحجم وتلك الهندسة بالماء المهين، واعلم أن هذا الماء المهين هو الذى شيدها ولكن بأى قوة وبأى تصميم...؟!فلو تركت هذ الماء بجانب تلك العمارة لتتصور كيف صممها وشيدها، ستجد أنه قطرات تتلاشى فى التراب وتختفى، فليس فيه يداً تصنع أو قدماً تتحرك، لكن قوة الله جعلت من هذا الماء المهين يداً تحمل الأصابع لمسك الأشياء...، كيف تكونت هذه اليد وتلك الأصابع بوظيفتها؟...، فالإصبع الخامس على مسافة من الأصابع الأربعة حتى يتمكن الفلاح من أن يقبض على فأسه والعالم من أن يمسك بالقلم...، إنها قدرة الله الذى يقول للشئ كن فيكون، ثم بقدرته شكل اليد الأخرى ليستطيع الإنسان أن يتحكم فى الأشياء التى يفعلها، كذلك خلق القدم للسير هنا وهناك، والعقل للتفكير، وغير ذلك من أعضاء السمع والرؤية والتنفس ومفاصل الحركة وأجهزة الإحساس والشعور، كل هذه الأشياء كيف تكونت فى الماء المهين ومن الذى شكلها؟...، والإجابة حقاً لابد من وجود صانع فوق كل صانع، إنه الله الذى يخلق من العدم، فلا حول ولاقوة إلا

بالله، يقول تعالى ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فأعبدوه وهو على كل شئ وكيل﴾[١].

فهذه العمارة المرتفعة بإبداع يعجب منه الناظرين، الإنسان هو الفاعل والمصمم لها، ولكن الحقيقة هى أنه الماء المهين الذى شكل الله فيه اليد والقدم والعقل والأجهزة المختلفة ومنحه القوة والحركة...، من هنا نفهم أن هذه العمارة لم يشيدها الإنسان بل شيدها الله بقوته وجعل الإنسان فقط سبباً فى نشأتها فهو خالق الأسباب والمسببات، وبهذا المثال نقيس كل شئ يتدخل فيه الإنسان بصناعته، فكل ما نراه من القطارات والسيارات والطائرات وسفن الفضاء وآلات المصانع والماكينات والأثاث والحصير والسجاد والأوانى والزجاج وغير ذلك من الأجهزة والأشياء التى نراها ونستخدمها فى حياتنا ونعتقد أنها من صنع الإنسان...، علينا أن نعلم أنه لم يصنع شيئاً لأن حقيقته هذا الماء المهين الذى لاحول له ولاقوة. بل الصانع الله الذى شكل هذا الماء المهين وجعله إنساناً ليكون سبباً قوته وحركته مستمدة من الله الواحد القهار...،

---

[١] سورة الأنعام أيه ١٠٢

منهج الله وسر السعادة

منذ البداية، والإنسان دائم البحث عن السعادة ليحقق أمنياته،فهى الأمان الذى يسكن الشعور، والأمل الذى يملأ النفس والخيال وبها يشعر الإنسان بقيمته فى الحياة، ويتطلع دائماً إلى الأجمل والأفضل، فيسعى ويتحرك بلا توقف وبلا يأس، ليحقق تلك الأمنيات...،

والسعادة أحياناً تكون محدودة وأحياناً تكون بلا حدود. فهى محدودة إذا أقتصرت على عمر الإنسان فى الدنيا الزائلة. وهى بلا حدود إذا كانت تحتوى الإنسان فى الدنيا والآخرة. حيث رضوان الله الدائم، وحيث أشجار الظلال، وحيث الأنهار الجارية والثمار الدانية فى الجنة خالدين فيها...، وتختلف أصناف الناس فى البحث عن السعادة...،

فهناك من الناس من يرون السعادةفى استقرارهم الدنيوى وعدم حاجتهم إلى المادة ، فهى بالنسبة لهم السعادة إذا كان معهم ما يكفيهم منها ويزيد...، وهؤلاء إذا كان ذلك غاية فهمهم، فهم لايشعرون بالإستقرار النفسى كما يتصور من هو أقل منهم فى مستواه المعيشى...، إنهم عندما يستقرون مادياً يبحثون دائماً عن أشياء ومعانى غائبة، هى سر السعادة الحقيقية بالنسبة لهم...، والذين يركضون وراء المادة ليحصلو عليها بأى طريقة وبأى ثمن، هم بالفعل قد تركوا السعادة الحقيقية ويبحثون عن المادة لأنها بالنسبة لهم هى تلك الأشياء والمعانى الغائبة التى يتصورون أن بها ستكون السعادة، وهم لن يجدونها فى المادة كما لم يجدها غيرهم فيها...، والحق أن السعادة فى التمسك بمنهج الله وقناعة القلب والرضا بالقليل..، فلو يعلم الماديون ما يحمله المسلمون القانعون من السعادة لقاتلوهم عليها، ومنهج الله موجود وعلينا أن نتمسك به، حتى يهدينا الله تعالى إلى الغنى الحقيقى،

فعن أبى هريرة رضى الله عنه — عن النبى ﷺ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿يا ابن آدم، تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك﴾[١].

إن الله الذى خلق السماوات والأرض يملك كل شئ لأنه الخالق لكل شئ فكل ما حولنا جنود من جنوده تسخط علينا لسخطه، وتقسو وتتعثر أمامنا لغضبه، وفى ذلك يقول النبى ﷺ "من كانت الدنيا همه فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كُتب له"[٢] فكيف بعد ذلك يهتم الإنسان بالدنيا ويجعلها غاية همه وكل ما فيها من جنود الله ولن تريحنا تلك الجنود إلا حينما نحب ونكره ابتغاء مرضاة الله، وحين تكون غايتنا هى حب الله وطاعته فى كل شئ، وليس حب الدنيا والمادة وهم من جنود الله ومخلوقاته...،

لقد بين لنا النبى ﷺ الطريق، فمن أراد أن يكون أقوى الناس فعليه أن يتوكل على الله ومن أراد ان يكون أعز الناس فعليه أن يتق الله ومن أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده..، وبهذه العقيدة ستكون السعادة الحقيقية، حيث يجد الإنسان نفسه ملتزماً بأوامر الله، وليس ذلك فحسب بل هو قدوة لغيره يأخذ بأيديهم إلى الجنة...، ولن يكتمل شعورنا بالسعادة إلا حينما نرى جميع من حولنا سعداء..، فكيف تكون السعادة حين يخسر الإنسان أهله وأبناءه ويصيرون إلى النار حتى ولو كان هو يعمل بعمل أهل الجنة...، إن الذى يفرط فى حق أبناءه سيوقف للسؤال ويُسأل عن رعيته فالخاسرون كما وصفهم الله تعالى هم اللذين خسروا أنفسهم وأهليهم

---

[١] أخرجه الترمذى — الأربعون حديثاً القدسية وشرحها

[٢] رواه الطبرانى — الترغيب والترهيب صـ ٥٣٨ الجزء الثانى

يوم القيامة..، ويالها من صورة محزنة حين تجد اهلك وأولادك فى النار وأنت المسئول عنهم، وكان يجب عليك أن تنسى الدنيا قليلاً وتنصحهم...، كان يجب عليك أن توضح لهم ان السعادة ليست فى ملذات الدنيا الفانية والتى لاتساوى عند الله جناح بعوضه، بل هى فى الآخرة وما فيها من النعيم المقيم، كان يجب عليك أن تذكرهم بهاذم اللذات وبفضل الذكر وقراءة القرآن، وتذكرهم بقوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشاً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[١] كان يجب أن تذكرهم بأن فى الجنة مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر وأن النار أوقد عليها ألف عام حتى أحمرت والف عام حتى أبيضت وألف عام حتى أسودت، فهى سوداء حالكة لو أن رجلاً من أهل النار أطلع على أهل الدنيا لماتوا جميعاً من وحشة منظره، ولو أن قطرة من الزقوم نزلت على أهل الأرض لأفسدت عليهم معايشهم، وفى ذلك يقول النبى ﷺ "لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه؟"[٢]

ولو أن مقمعاً من الحديد الذى يضرب به أهل النار وضع على الأرض واجتمع له الثقلان أى الإنس والجن ما أقلوه من مكانه وفى ذلك يقول ﷺ "لو أن مقمعاً من حديد جهنم وضع فى الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض"[٣] وبتلك التذكرة تكون الخشية من الله وبها يكون الحذر من الدنيا والإقبال على الآخرة، وفعل ما يوصل إلى جنة الله الطيبة، وبهذا

---

[١] سورة طه أيه ٢٤

[٢] رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال فكيف بمن ليس له طعام غيره ــ الترغيب والترهيب صــ ٤٨ الجزء الرابع.

[٣] رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد الترغيب والترهيب صــــــ٤٧ الجزء الرابع

المنهج من الخشية والمعرفة تحرك المسلمون الأولون فنشروا الإسلام فى كل مكان وكانوا يحملون بين جوانبهم حقيقة السعادة فى الدنيا والآخرة، لقد كانو يحرصون على الموت كحرص غيرهم على الحياة، حتى أن إعرابياً رفض أن يأخذ نصيبه من الغنائم بعد إحدى الغزوات، وحين كان يقسمها رسول الله ﷺ ، وجاء إلى هذا الإعرابى ليعطيه نصيبه رفض قائلاً .... لا على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على أن أضرب هاهنا بسيف فأموت فأدخل الجنة...، وكان البراء بن مالك يبحث فى كل غزواته عن الموت..، ولقد كانوا كأنهم يشمون رائحة الجنة وهم على الأرض، ولنا أن نقارن السعادة بالموت فى نظر هؤلاء والسعادة بالحرص على الحياة فى نظرنا إن الفارق يتطلب منا أن نتخلص من الداء أولاً وهو داء العشق للدنيا، ونتمسك بمنهج الله، ونعيد قراءة الرسالة التى أرسلت إلينا وننفذ ما فيها ونمرر الآيات على قلوبنا ونتفكر فيها ونعمل بسنة النبى ﷺ وتطبيق منهج الله تعالى الذى يأخذ بأيدينا إلى النور ويأمرنا بكل خير ولن تكون السعادة يوماً إلا فى تطبيق هذا المنهج من الإيمان بالله والعمل الصالح...، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره...، والتفكر فى الكون وفى نعم الله وتعلم العلم الشرعى، والإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن، وانشراح الصدر وسلامته من الأحقاد، والإحسان إلى الناس، وحب الخير للجميع...، والإنفاق فى سبيل الله...، والنظر إلى من هو دونك فى أمور الدنيا وإلى من هو فوقك فى أمور الآخرة، يقول ﷺ "أنظروا إلى من هو أسفل منكم، ولاتنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تذدروا نعمة الله"[1].

والسعادة الحقيقية أيضاً فى قصر الأمل وعدم التعلق بالدنيا، والإستعداد ليوم الرحيل وفى مصاحبة الأخيار وفى الكلمة الطيبة ودفع السيئة

---

[1] رواه مسلم

بالحسنة وعدم تعلق القلب بغير الله وفى كثرة الدعاء لله عز وجل، وكان من هديه ﷺ أنه كان يقول "اللهم أصلح لى دينى، الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى، التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى، التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر"[١].

هذا هو منهج الله، الذى يدعونا لكل خير، لذلك لن تكون السعادة أبداً فى البعد عن هذا الطريق الطيب المضئ، فلن تكون السعادة فى عمل المعاصى والآثام وإرتكاب الجرائم التى كثرت بسبب البعد عن هذا الطريق ولن تكون السعادة فى الغضب والانتقام للنفس وعدم التسامح، ولن تكون فى الحسد والغيرة والظلم والخوف من غير الله، ولن تكون فى الكبر وسوء الظن والتشاؤم وتعلق القلب بغير الله.

إن السعادة لن تكون يوماً فى مخالفة أمر الله، بل هى فى التفكر ومعرفة الحقيقة حقيقة أننا الماء المهين، خلقنا الله بقدرته ورزقنا ووهبنا الحياة بما فيها من النعم، وبما فيها من مشاهد تدل على عظمة الله وقدرته، حيث الصحارى الممتدة وحيث البحار الشاسعة...، وحيث الحقول الخضراء وحيث القرى والمدن وحيث الليل والنهار....، والصيف والشتاء...، وحيث الناس المختلفة، وحيث هذا المنهج الذى يأخذ بأيينا إلى النور وفيه المواقف والعبر وفيه الوعد برؤية الله الواهب المنعم فى جنة الخلد والنعيم المقيم فأى سعادة للمؤمن بعد ذلك...، وأى سعادة يبحث عنها من ضل هذا الطريق....،

---

[١] رواه مسلم (١٧/٤٠)

الغيب وفضل الله

فضل الله على الإنسان بلا حدود...،

لكن الإنسان أحياناً يجحد هذا الفضل وأحياناً يعترف وأحياناً يملؤه الغرور...، وحكمة الله أن يتفاوت الفضل بين الناس ليكون التكامل فيها بينهم. ويسير الكون كما أحكمه الله وقدر فيه الأقدار.

وكل إنسان غنياً أو فقيراً، صحيحاً أو مريضاً، عالماً أو طالباً للعلم، يبتلى فيما قدر الله له...، وسبحانه وتعالى يعلم أن من عبادة من إذا أغناهم لفسد حالهم، ومنهم من إذا أفقرهم لفسد حالهم، والله يمنع عن بعض الناس ما يتمتع به غيرهم حتى يشكره من وجدوا بين أيديهم تلك النعم، وحتى ينال غيرهم جزاء الضعف إذا كانوا من الصابرين الحامدين...، وهناك من الناس من منحهم الله تعالى بسطة فى الجسم وأقدرهم على فعل خوارق العادات، ليرينا فيهم طلاقة قدرته وأن كل شئ بإذنه، فهم الماء المهين وهو الملك الذى له جنود السماوات والأرض، وله الخلق من الإنس والجن وباقى الكائنات. يقول تعالى ﴿يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شئ قدير﴾[1]. والله سبحانه وتعالى يعلم بأسرار النفوس فى خلقه، فيهدى من يشاء، ويضل من يشاء، وجعل الله الأعمال بالخواتيم، لتكون فرصة التوبة لمن ضل كثيراً ويبحث عن الطريق وتكون النقمة على من ذاق حلاوة الإيمان، وعرف الخير، وما وعد الله وما أنذر، ثم من أجل شهواته يترك هذا الطريق ويختار الضلال فالهدى يمكن أن يأتى بتوبة صادقة بعد طول البعد عن الطريق.

والضلال يمكن أن يكون بمعصية بعد طول إستقامة، لأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، لذلك كان أغلب

---

[1] فاطر آيه ١

دعاء النبى ﷺ "يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك"ومن فضل الله تعالى أنه يرينا آياته فى الظالمين لتكون العبرة لنا، ويرينا كرامات الصالحين لتكون الموعظة والبشرى لنا لنثبت على نفس الطريق...، والله يرينا تفاوت الأعمار لندرك أن الموت بلا ميعاد، وحتى نشكره على فرصة التوبة ولكى لايطمئن الإنسان إلى الدنيا ويكون من الغافلين...، ولأن الله هو الخالق، فهو يعلم ما كان من عباده وما سيكون، فالسعيد من يسره الله للخير والشقى من يسره الله للشر، وفى ذلك يقول ﷺ فى نهاية الحديث القدسى "فو الذى لا إله غيره أن أحدكم ليعمل بعمل ــ أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها[١]. والنبى ﷺ يشرح لنا ذلك فى حديث يرويه على بن ابى طالب قال: "كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا رسول ﷺ ــ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصره فنكس، فجعل ينكث بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقيه أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟

فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال اعملوا فكل "ميسر، أما أهل السعادة فييسرون إلى عمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى"[٢]

---

[١] رواه مسلم ــ الأحاديث القدسية للإمام محى الدين النووى الجزء الثانى ــ صـــــ ١٣ الجز . الثانى

[٢] رواه مسلم ــ الأحاديث القدسية للإمام محى الدين النووى صـــ ١٨

ويعلق الإمام النووى على شرح هذا الحديث مشيراً إلى أن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره، خيرها وشرها، نفعها وضرها، قال الله تعالى "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون" فالقدر ملك الله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك فى ملكه ويشير الامام النووى إلى ان كل أمور الغيب والقضاء والقدر يجب أن يقف فكر الإنسان عندها، بتسليم الأمر لله الخبير الذى يعلم الحكمة من الأشياء، ومن عدل عن ذلك وقع وتاه فى بحار الحيرة ولا يبلغ ما يطمئن القلب أو يشفى النفس لأن القدر سر من اسرار الله تعالى التى ضربت من دونها الآستار، إختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، وواجبنا أن نقف حيث حد لنا، ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم فلم يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب، وقيل أن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها، وهى أشياء غيبية لا يعلمها إلا الله تعالى.

من هذا التفسير نجد أن الله يتفضل على عباده بما يشاء، فأصحاب القلوب التى يعلم الله فيها الخير، فتعطى بسخاء وتصدق دعوة الخير ييسرها الله لكل خير ويسهل لها طريق الفقه والعلم فتكون الأدلة التى يلهمها الله للعبد بالفطرة والعلم ومعرفة الإعجازات النبوية والاطلاع على المواقف التى تشير إلىالكرامات للصحابة والصالحين وما أخبرنا الله تعالى به عن عالم الملائكة وثبوت هذا العالم وحقيقة وجوده بالأدلة فى العصور السابقة وعلى مر العصور وكذلك ما أخبرنا به عن عالم الجن وثبوت هذا العالم أيضاً بالمواقف والأدلة، وهناك الاعجازات فى التذكرة الزمنية والتى يبين الله لنا فيها على مر الأزمنة قدرته فى خلقه بالمواقف والعبر التى تشهد بوجوده وقدرته، والتى يبدو فيها فضل الله على عباده اللذين أراد الله لهم الهدى والتوحيد الخالص، وهو فضل الله يؤتيه، من يشاء، وما أخفاه عنا هو الغيب

الذى لا تتحمله عقولنا، فلكل شئ خلقه الله وقدره فى هذا الكون الشاسع حكمه لاتتسع لمعرفتها مداركنا المحدودة نحن الماء المهين وخلق الله الضعفاء، وفى إخفاء بعض الحكم الغيبية عنا حكمة أخرى من الله الخبير، وذلك للفتنة والإختبار ومعرفة مدى يقين الإنسان الذاتى بما علم من الأدلة فى نفسه وفى الكون من حوله...، فهل كان من الذاكرين الشاكرين الذين عرفوا نعم الله واتبعوا دعوة الخير التى تحمى الإنسان من كل شر وتدعو إلى حفظ الحقوق وعدم الظلم ونشر الخير بين كل افراد البشر، أم كان من الجاحدين اللذين اتبعوا طريق الشيطان فحجب الله عنهم طريق النور، فساروا فى الظلمات وظلوا مع الشهوات.

وهذه الأدلة فى أنفسنا ومن حولنا تبدو واضحة كضوء الشمس للناظرين المتأملين، ولقد تحدثنا من قبل عن الأدلة بالفطرة والعلم فى الكتاب السابق مواقف وإعجازات وقدرة الله البديع وسوف نتعرض لبقية الأدلة والمواقف فى الموضوعات والفصول القادمة من هذا الكتاب إن شاء الله، وكل ما يكتب فى هذا المجال هو وميض من فيض الله الذى لاينتهى وفضله الذى لن يستطيع أن يؤدى شكرة العارفون من العباد.

وفضل الله يبدو فى آياته للناس، وفى سنن الله الكونية لحكم يعلمها سبحانه وتعالى، فلقد فضل الله بعض الناس على بعض فى الرزق، حتى تحتاج كل منا للآخر وتتبادل المنافع ولاتصبح البشرية هياكل تملأ بطونها وتنام بلا حركة أو عمل، وحتى يشعر الإنسان بقيمته فى الحياة ويتشوق إلى ثمرة كدة وجهده فيجد فى فمه مذاقاً للنعمة التى تعب كثيراً من اجلها ولم يكتسبها من الحرام...،

والله يبتلى كل إنسان بما منحه من النعم، هل شكر أم جحد ونسى المنعم أم لم يقنع بالقليل ونظر إلى غيره وتمنى زوال النعمة عنه، وفى ذلك

يقول تعالى ﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شئ عليماً﴾[١].

يحذرنا الله تعالى من الحسد ومن تمنى ما فضل الله به الغير فالله يعلم الحكمة من كل شئ، ومن يريد مثل هذا الفضل عليه أن يسأل الله ويدعوه فهو المجيب وهو صاحب الفضل، والذى يريد الزيادة عليه أن يشكر الله على نعمه فى السراء والضراء، ويتذكر قوله عز وجل ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾[٢] والله يرفع اللذين أوتوا العلم درجات، لأن العلم هو نور الله الذى يهديه للطائعين اللذين يخشون ربهم بالغيب، وعلى العلماء تبليغ العلم وشكر الله عليه لأنهم ورثة الأنبياء اللذين لم يورثوا ديناراً ولا متاعاً، ولكنهم تركوا ميراث العلم الذى هو الطريق الموصل إلى الجنة لمن أخذ به.

ولابد أن يعلم اللذين أوتوا العلم أن الله يبتليهم فيه، هل عملوا به وبلغوه للناس أم ضيعوه وانساقوا فى تيارات الرياء، ليقال عنهم أنهم من الفقهاء والبلغاء وعند ذلك يكون الخسران المبين، فمن أراد الله به خيراً يفقهه فى الدين، ومن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه...، والعلم يضيع بكثرة المعاصى والكبر والرياء وعدم الشكر...، إن الذى ينظر إلى فضل الله يجده بلا حدود، ويجد قمة الفضل على الأنبياء فلقد عُرج بالنبى ﷺ إلى السماوات العلى حيث سدرة المنتهى.

ولقد كلم الله رسوله موسى تكليماً...، ولقد رأى نبى الله إبراهيم عليه السلام أجزاء الطيور بعد ذبحها وتقطيعها تعود طيراً كما كانت وتستمر فى

---

[١] سورة النساء آيه ٣٢

[٢] سورة إبراهيم آيه ٧

الطيران. ولقد خرج نبى الله يونس من بطن الحوت وكان مستقراً وسط الظلمات...، وطاف ذو القرنين مشارق الأرض ومغاربها ورأى عجائب خلق الله فى الأرض من الكائنات والبشر...، ونبى الله صالح وقد رأى الناقة تخرج من قلب الصخرة الصماء كائناً يتحرك ويخطو ويسير...، ونبى الله إدريس الذى رفعه مكاناً عالياً...، ونبى الله يوسف الذى رأى الشمس والقمر له ساجدين وعلمه الله بفضله تأويل الأحاديث...، ونبى الله داود الذى ألان الله له الحديد وكانت تسبح معه الجبال، ونبى الله إسماعيل الذى فداه الله بذبح عظيم...، ونبى الله نوح الذى أنجاه الله ومن معه من الطوفان فى سفينة كانت تجرى بهم فى موج كالجبال...، ومات العزيز عليه السلام مائة عام ثم بعثه الله ورأى عظام حماره يكسوها الله لحماً ورأى الآية فى طعامة وشرابه حيث لم يحدث بهما تغير...، ورأى نبى الله هود، إنتقام الله من قومه اللذين ظلموا واغتروا بقوتهم...، ورزق الله نبيه زكريا على الكبر يحيى عليه السلام، وكان أسماً على مسمى حيث كان شهيداً فى بنى إسرائيل ليحيا عند ربه، وأتى الله مريم عليها السلام الرزق فى محرابها بغير حساب.

إن فضل الله تعالى يتناسب مع قدرته، فهو مالك الملك وهو القوى العزيز لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه.

فضل بعض الشهور على بعض وفضل بعض الرسل على بعض وفضل من البشر بعضهم على بعض، يهب الحكمة لمن يشاء، وهو الذى يُعز من يشاء ويُذل من يشاء. والناس هم الناس يغترون أحياناً بما منحهم الله من فضله ويغفلون عن شكر المنعم.

ولقد أخذت الأرض فى عصرنا قليلاً من زخرفها وزينتها، حيث رُصفت الطرقات وانتشرت الأضواء فى كل مكان، وتغيرت معالم الدنيا

حيث تطاول الناس فى البنيان، وأتسعت دائرة الثراء، فهناك من يمتلكون السيارات الأنيقة والمساكن الفاخرة، والزوجات المتنعمات، ويتناولون أشهى الأطعمة وأطيب المأكولات، ومنهم من فهموا الحقيقة وعرفوا أن ذلك فضل الله فشكروه على نعمه ولم يكونوا من المسرفين وأدوا حق الله فى أموالهم، ومنهم من ظنوا أن كل ذلك من كسبهم فغرقوا فى الشهوات، واستمعوا إلى الأغنيات، وهى التى تُنبت النفاق فى القلب كما يُنبت الماء البقل، ولقد استحلوا المحرمات فشربوا الخمر وسموها بغير أسمها، ونسوا الفقراء وغفلوا أن ماهم فيه من الترف هو الإبتلاء بالغنى، أيشكرون أم يجحدون وينسون حق الله فى أموالهم، وهؤلاء عليهم أن يفيقوا قبل أن تأتى لحظة الحساب وهم غافلون....، ولقد تقدمت العلوم، وهدى الله البشرية إلى أكتشاف ما فى باطن الأرض من الكنوز وسخر الله للناس القطارات والسيارات وغيرها من وسائل الإنتقال فكل ما ينتفع به الإنسان من المساكن الفاخرة والسيارات وغيرها هو من خلق الله. يقول تعالى فى ذلك ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينه ويخلق مالا تعلمون﴾[1] أى ويخلق مالايعلم الأولون من السيارات والقطارات وغير ذلك من مختلف النعم فعلينا أن نشكر الله فى كل وقت وفى كل زمان على ما سخر لنا من النعم حتى لاتأخذنا تيارات الغفلة ويكون الندم يوم لاينفع الندم يقول تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذا قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون﴾[2].

فعلينا أن نشكر الله على ما منحنا من الزوجه والولد والمال وكل ما سخره لنا وانتفعنا به، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ فى هذا الجزء من

---

[1] سورة النحل آيه ٨

[2] سورة مريم آيه ٣٩

الحديث القدسى حيث يلقى الله العبد فيسأله عن هذه النعم قال: "فهل تُضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابه؟ قالوا: لا، قال: "فوالذى نفسى بيده لاتُضارون فى رؤية ربكم إلا كما تُضارون فى رؤية أحدهما" قال "فيلقى العبد فيقول: أى فلان ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع، فيقول: بلى قال "فيقول: أفظننت أنك ملاقى؟ فيقول: لا. فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى"[١] فما أشد مصير الجاحدين حين ينساهم الله كما نسوا فضله عليهم وتكون النهاية بعد التمتع بالنعم، النار...، والزقوم...، وعذاب الجحيم...،

---

[١] جزء من حديث رواه مسلم وأبـــو داود ـــ صـــحيح ـــ صـــحح الأحاديـــث القدســـية صـــ١٠٢.

أبـونا .. آدم وحـواء

القرآن الكريم فيه أحسن القصص وأجمل العبر...،

ولقد ضرب الله لنا فيه من كل مثل حتى يتذكر أولوا الألباب والمتأملين. وحتى يتضح طريق النور لمن أراد الخروج من الظلمات وأرهقته العثرات...، ومن يتفكر فى آيات الله، يجد فى قصة ابوينا آدم وحواء درساً وموعظة نتعلم منه الكثير...، لقد كانت البداية حين كان ابوينا آدم وحواء فى الجنة. ثم حذرهم الله من الشيطان وامرهم أن لا يأكلوا من شجرة معينة حددها لهم...، لكنهم خالفوا أمر الله وأطاعوا الشيطان حين أغواهم وكذب عليهم. وكانت نتيجة ذلك أن أخرجهم الله مما كانوا فيه من النعيم...، ولو اخذنا من هذا الدرس الموعظة، وقارنا ما حدث لأبوينا بما نحن فيه فى الدنيا لوجدنا تشابه الصورة مع إختلاف الإختبار. فأبوينا آدم وحواء كانوا فى الجنة يتنعمون بما فيها من النعيم حيث الفواكه ومختلف الأطعمة وحيث ظلال الأشجار وخيرات الأنهار...،

ونحن فى الدنيا أنزل الله لنا الخيرات من مختلف الثمار والأشجار وبعض الأنهار وهى تقل فى درجتها عن طيبات الجنة أى بما يتناسب مع إختبارنا فى الدنيا، وهناك من الأحاديث ما يشير إلى أن بعض الثمار والأنهار الموجودة فى الدنيا هى من ثمار وأنهار الجنة ولكن بالدرجة الأقل وبما يتناسب كما أشرنا مع هذا الإختبار...، وكما حذر الله تعالى أبوينا من إغواء الشيطان وأمرهم بعدم طاعته، وأمرهم بأن لا يأكلوا من الشجرة التى حددها لهم، كذلك حذرنا الله فى الدنيا من طاعة الشيطان وأرسل لنا الرسل للإنذار والتنبيه للحذر من إضلاله ووساوسه، وكما نهاهم عن الأكل من الشجرة، نهانا عن الظلم وعن السرقة ونهانا عن أكل مال اليتيم وعن الزنا وعقوق الوالدين...، وكما فعل أبوينا وخالفوا أمر الله واطاعوا الشيطان وأكلوا من الشجرة، هناك من خالفوا أمر الله فى الدنيا وظلموا وأكلوا مال

اليتيم وعقوا والديهم وأطاعوا الشيطان رغم تحذير الله لهم بإرسال الرسل...، ولقد كان مصير أبوينا حين خالفوا أمر الله تعالى وأطاعوا الشيطان وأكلوا من الشجرة التى نهاهم عنها بأن أخرجهم الله من الجنة وما كان فيها من النعيم، وكذلك فإن مصير من يخالف اوامر الله فى الدنيا ويرتكب الأشياء التى نهانا الله عنها من المعاصى والمحرمات فإن مصيره الخروج من رحمة الله فى الدنيا ومفارقة نعيمها والحرمان من نعيم الآخرة إلى حيث الشقاء والنار خالداً فيها، وذلك لأن الله قد أرسل لنا الرسل للإنذار والتبشير وكانت هناك فرصة العمر بالتوبة والإنابه والتذكرة والعقل الذى به يقارن الإنسان بين دعوة الخير من الله ودعوة الباطل والفساد من الشيطان...، فعلينا ان نسرع بالتوبة وفعل الخير وشكر الله تعالى على كل ما احاطنا به من النعم، قبل لحظة لاينفع فيها الندم، يقول تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون﴾[١] ويقول تعالى ﴿إن اللذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتُفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتّى يلج الجملُ فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين﴾[٢].

فعلينا بقراءة رسالة الله تعالى وتنفيذ ما فيها وذكر الله والإستغفار فى كل وقت وعلينا بغض البصر وعدم الظلم والصبر على إبتلاءات الدنيا وعدم مخالفة الله تعالى...، وعلينا أن لا نغفل شكر الله على نعمه وأن لا نرضى بالمنكرات من حولنا، بل ننصح ما أستطعنا إلى ذلك مع تغيير ما فى أنفسنا حتى يُقتدى بنا، وعلينا أن نتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، لأنها إما جنة وإما نار، يقول تعالى عن أهل النار ﴿لهم من جهنم مهادُ ومن فوقهم غواشٍ وكذلك نجزى

---

[١] سورة مريم آيه ٣٩

[٢] سورة الأعراف آيه ٤٠

الظالمين ﴾[1] ويخبرنا عن أهل الجنة بقوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لاتكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾[2]...،

فعلينا بطاعة الله ومخالفة الشيطان حتى لا يكون الندم...، وحتى ننال هذا الفوز العظيم، مستفيدين من الدرس الماضى، وعالمين بأن عدونا دائماً هو الشيطان الرجيم، وأن الخير فى مخالفته وتديق الذى فطرنا وخلق السماوات والأرض، ومعه الغنى ومنه أصدق الحديث...،

---

[1] سورة الأعراف آيه ٤١

[2] سورة الأعراف آيه ٤٢

لكل صنعة صانع

ما اجمل النظر فى الكون...، وما أروع ما ينتفع به المتأمل فى سنة الحياة...، إن الناظر فى الكون والمتأمل لسنة الحياة يجد لكل صنعة صانع. وطالما وجد الصانع فإن كل شئ فى الصنعة له وظيفة، وذلك لأن الصانع يفكر فى استخدام كل جزء يوجد فى صنعته، فالغسالة المنزلية مثلاً نجد هناك الموتور ووظيفته إخراج الطاقة الحركية...، والإناء المعدنى لحمل الملابس..، والمروحة الجانبية لتدور وتحرك تلك الملابس...، والخرطوم المتصل بأسفل الإناء المعدنى لتصفية المياه الباقية. هذه الأشياء حين نراها تدلنا على وجود صانع ومصمم ومفكر صمم كل ذلك. ولله المثل الأعلى حيث تتجلى قدرة الله وإبداعه فى صنعته حين يتفكر الإنسان فى نفسه، يقول تعالى ﴿وفى انفسكم أفلا تبصرون﴾

وحين ننظر نجد أن البداية وأدوات الصنعة هى الماء المهين فقط لأن الله المبدع يخلق من العدم، كما أوجد الكون بما فيه من العدم بأمرة كن فيكون ثم يتحول الماء المهين إلى قطعة اللحم المصمتة فى مكان مظلم هو بطن الأم، لكن نور الله هو المضئ.

ومن هذا الماء يكون الله مخلوقاً سوف يتحرك فى الحياة لوظيفة خلقه الله من اجلها وهى العبادة...، فهو يحتاج يدين ليعمل بهما ويتناول ما يريد فنجد اليدين بما تحتويه من المفاصل للحركة والعظام المختلفة تماماً عن الدم واللحم لتكون القوة التى تمكنه من حمل الأشياء...، يحتاج إلى الأصابع لمسك الأشياء ونجد الأصابع بإبداع لامثيل له، فالإصبع الخامس على مسافة من الأصابع الأربعة حتى يتمكن الفلاح من أن يقبض على فأسه والعالم من أن يمسك بالقلم وكان يمكن أن تكون أصابع اليد متراصة بجانب بعضها

البعض كأصابع القدم، ولكن لوجود الصانع المبدع الله فقد جعل أصابع اليد بهذا التنظيم من أجل تلك الوظائف التى تختلف عن وظائف القدم، ويحتاج هذا المخلوق أن يسعى فى الأرض ويسير كما أمره الله، يقول تعالى ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا﴾[1]. ونجد أن قطعة اللحم لم تظل مصمته بل فرقت القدمين للسعى والسير هنا وهناك...، وهو يحتاج أن يتغذى ويتناول الطعام، ولوجود الصانع المبدع يصور فى قطعة اللحم المصمتة فتحة الفم لهذه الوظيفة...، ولأنه يحتاج إلى تقطيع هذا الطعام الذى يتناوله فنجد من وسط الدم واللحم تبرز الأسنان وهى العظام الصلبة المختلفة تماماً فى شكلها وصلابتها عن الدم واللحم، إنها قدرة الله كن فيكون...، ويحتاج هذا المخلوق إلى وعاء ليستوعب ما يتناوله من الطعام، فيجوف الله قطعة اللحم ويصنع فيها وعاءاً من الأمعاء الملتفة حتى لايختلط الطعام بالدم ويكون له المخرج حتى لايؤذى الإنسان بغيابه فى جوفه...، ويحتاج هذا المخلوق أن يسير فى النور ويرى ما حوله ومن وسط الدم واللحم يكون الله المادة السوداء والبيضاء وهى المختلفة تماماً عن الدم واللحم لتكون العين للرؤية، ثم يجعل الله لها مكاناً وسط علبة عظمية لحمايتها ويحيطها بماء ملحى لحفظها من الميكروبات...، ويحتاج أن يسمع ليدرك واجباته وليتدبر رسالة ربه فجعل الله الأذن لهذه الوظيفة ونودها بمادة مرة المذاق لمنع دخول الحشرات بها، ويحتاج أن يتحدث ويبتلع الطعام ويشعر بمذاقه فصنع الله له اللسان لتلك الوظيفة وما يحتويه من الزوائد الحسية لتذوق الطعام...، يحتاج أن يتنفس فجعل سبحانه من قطعة اللحم المصمتة فتحتى الأنف تصلان إلى رئتين تمتلآن بالهواء عند الشهيق ثم تفرغان منه عند الزفير ليكون التنفس الذى يعد من آثار رحمة الله على الإنسان، ولنا أن نتصور سد فتحتى الأنف لمدة

---

[1] سورة العنكبوت آيه ٢٠

من الوقت وعند اللحظة التى تشعر فيها أن الدنيا بما رحبت وهذا الكون الفسيح يضيقه بك بما يفوق الوصف فاسمح لنفسك بخروج هذا النفس وتذكر رحمة الله عليك بهذه النعمة، وما يستحقه الله من الشكر والتسبيح على كل نفس يخرج منك...، ويحتاج هذا المخلوق إلى عقل يفكر به وليميز بين الخير والشر والخبيث والطيب، ونجد بقدرة الله كن فيكون جعل الله المخ بكتلته البيضاء المتعرجة وحفظه فى علبة عظمية لحمايته وهى مواد تختلف تماماً فى مظهرها عن الدم واللحم لكنها طلاقة قدرة الله تعالى، وحيث جعل الله به مع هذا الابداع مراكز الإدراك والوعى المختلفة...، وحين تتحرك الرياح تحمل مع حركتها الكثير من ذرات الغبار والأتربة التى تضر بالعين والجهاز التنفسى، لذلك زود الله العين والأنف بشعيرات دقيقة تعمل على حجز الأتربة وحمايتهم من الضرر.

ولأن كل جزء فى هذا الجسد اللحمى يحتاج إلى الغذاء الذى يناسب طبيعته حتى ينمو ولا يجف ويتماسك، جعل الله قلباً ينبض دائماً ويتحرك بأمر خالقه مدة عمر الإنسان ويضخ الدم فى عروق تنتشر فى أنحاء الجسم حتى أطراف الأصابع...، وهذا الدم يحتاج مصانع لتوليده والإحتفاظ به فجعل الله بإبداعه وقدرته الكبد والطحال لتلك الوظائف...، وهذا المخلوق سوف يتناول فى طعامه الكثير من الدهون المتماسكة والتى تحتاج مذيباً لإذابتها ليستطيع الجسم أن يستفيد منها فجعل الله الحويصلة المرارية التى تفرز مادة تذيب الدهون، ولأن هذا المخلوق سوف يتناول الكثير من المواد السكرية والتى إذا زادت عن حاجة الجسم وانتشرت فى الدم غيرت صفاته عن الحدود المناسبة فيصاب الإنسان بالغيبوبة وعدم المقدرة على العمل وغير ذلك من الأعراض جعل الله جهاز البنكرياس لتنظيم حركة السكر فى الدم...، ويحتاج الإنسان أن يخرج الماء الزائد عن حاجته والذى يشربه طيلة يومه فكما خلق الله الفم ليتناول الإنسان عن طريقه ما يحتاجه من الماء جعل

الله بقدرته مخرجاً لهذا الماء، فصنع مجرى البول والذى يبدو فى صنعة منتهى الدقة والرحمة حين يكون هذا المخرج الدقيق فى قطعة اللحم المصمتة بتلك الدقة وبهذا الإبداع ولا يتصور الإنسان مدى ما يلاقيه من العذاب، إذا حدث إنسداد لهذا المخرج المصنوع بدقة وإبداع أعظم صانع قادر على كل شئ فأى مدى يستحق الله من الشكر حين يستطيع الإنسان فقط أن يتخلص من بوله دون إحتباس أو عناء.

ولأن الله هو الصانع المبدع فهو يعلم أن هذا الماء يمكن أن يختلط حين يشربه الإنسان بالكثير من الشوائب والمواد الضارة فجعل الله الكليتين وبها ما يشبه الفلاتر والمصافى لتنقية المياه من الشوائب والمواد الضارة، حتى يدخل الماء إلى الدم نقياً من تلك المواد، إنه إبداع صنع الله والذى لايتوقف عند هذا الحد، فلكى تكتمل صورة الإنسان وزينته، جعل الله بقدرته من وسط الدم واللحم بصيلات الشعر على إختلاف ألوانه بما يناسب مظهر الإنسان وملامحه فالإنسان لادخل له فى شكله ولكن الله هو الذى أختار وميز البشر بعضهم عن بعض لذلك وجب على الإنسان أن لا يغتر ولا يتكبر فلقد خلقه الله وميزه وهو الذى لم يكن شيئاً من قبل، يقول تعالى ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك. فى أى صوة ما شاء ركبك﴾[1] والله لم يصنع الإنسان ثم تركه فى بيئة يعيش فيها وهى لاتلائم متطلباته بل صنع له البيئة التى تناسبه، فهو يحتاج الهواء للتنفس فخلق له الهواء...، يحتاج إلى الماء ففجر بقدرته من الأرض الينابيع والعيون والآبار...، وخلق البحار والأنهار...، يقول تعالى ﴿والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها

---

[1] سورة الإنفطار الآيات ٦ ، ٧ ، ٨

والجبال أرسها . متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[1]. وجعل الله بقدرته نسبه البحار ومساحتها تتفوق على مساحةاليابسه حتى تتسع دائرة التبخر للمياه بسبب حرارة الشمس التى تساعد على ذلك فتسقط الأمطار التى تسقى الزرع وتروى الأرض الجافة، فتحيا بعد موتها، يقول تعالى "فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شئ قدير"، ويحتاج الإنسان إلى السكن والمودة فخلق له من نفسه زوجة ليسكن إليها وتشاركه أعباءه ومشوار الحياة، وهو سوف يحتاج من يساعده فى زراعته وسخره فسخر له الأنعام والخيل ومختلف النعم من الآلات والماكينات والسيارات والقطارات بما يناسب كل عصر، وهو يحتاج إلى النور والدفء يسعى فى الأرض فجعل الشمس تشرق فى الصباح ليكون النهار بما فيه من السعى وطلب الرزق والتنقل فى كل مكان، وهو أيضاً يحتاج إلى الراحة بعد العناء فجعل الله الليل خلفاً للنهار لتكون نعمة النوم وفيها راحة الجسم بعد المشقة والتعب.

وإذا إحتاج الإنسان إلى مواد البناء ليصنع حجرات المعيشة، أو إحتاج إلى الزجاج أو الفخار ليصنع منه الأوانى، فكل ما فى الكون جعله الله يخدم هذا الإنسان، فحتى الرمال المتناثرة حولنا فى تلك الصحارى الشاسعة، منها يصنع الإنسان الزجاج وما يحتاجه من مواد البناء...، وبهذه النعم وبهذا الإتصال الكونى الذى جعله الله يخدم هذا المخلوق والذى كرمه الله ونفخ فيه من روحه، نجد أننا لم نخلق عبثاً، وأن الإنسان جعله الله خليفة فى الأرض يقيم شرع الله ومنهجه، وليس هناك حجة بعد أن بلغت الرسل رسالة الله إلى البشر، لتكون تلك الرسالة هى سر صيانة الصنعة من الفساد والظلم والضلال إلى يوم القيامة، وفيها الطريق الذى يجب السير عليه، لتكون

---

[1] النازعات الآيات ٣٠ ، ٣١،٣٢

السعادة فى الدنيا والآخرة، والويل لمن جحد هذه النعم وأشرك بالله غيره وأنكر نعمه بعثه للحساب...، إن النهاية ستكون بميزان المقسط الذى قدر نعمه وما يستحقه من الشكر عليها...، وعلى ذلك فسوف تكون الجنة للشاكرين العابدين والنار للمعاندين المكذبين...،

قدرة وإبداع

تمتد البحار بمنظرها البديع وأمواجها التى تتحرك فى إنسياب رائع..، وجمال لامثيل له...، لتشهد بقدرة الله وإبداعه فى كونه الممتد بإتقان الصانع الذى يخلق ما يسعد النفس ويمتع الروح ولايشعر بذلك إلى الناظرين المتأملين...،

وحين تشرق الشمس على الحقول الخضراء يبدو جمال المنظر الذى يبعث الأمل فى القلوب العامرة بسكينة الإيمان والشاكرة لأنعم الله فى كل وقت...، ويبدو جمال الصورة أيضاً حين تغدو الأنعام وتروح مع طلوع الصبح وعند الغروب، بمشهد يبعث فى النفس السكينة والهدوء ويبعث فيها التأمل حين يكون غذاؤها من نباتات الأرض الخضراء، وإنتاجها لبناً صافياً، فيه الغذاء الكامل للإنسان، يختلف تماماً عن اللون الأخضر، وغير ذلك من منتجات الألبان المختلفة والتى فيها ما يفيد الجسم من حيث القوة وجمال المذاق...،

وفى قلب القرية البسيطة المتواضعة، ما أجمل الجلسة وسط الحقول الخضراء حيث اشجار النخيل العالية، وظل أشجار الصفصاف الضخمة والكثيفة الأوراق، والتى تتدلى فروعها أحياناً على سطح المياه لتكون الصورة من أحسن الصور، ومن أجمل الإبداع...، فمن الذى كون تلك الساق الخشبية الضخمة وهذه الأوراق الخضراء الكثيفة من الطين الثابت الذى يختلف تماماً عن هذا التكوين الخشبى وتلك الأوراق الخضراء، إنها قدرة الله كن فيكون...، والنفس العامرة بالإيمان لايفارقها التسبيح للخالق المبدع حين تتأمل تلك الصورة بعين التفكر والإعتبار، فشجر الصفصاف وأغلب الأشجار سيقانها ملساء لعدم الحاجة للصعود عليها لكن أشجار النخيل بالذات

لعلوها فيها الدرجات كالسلم لينتفع الإنسان بثمرها وما تحتويه من القيمة الغذائية فضلاً من الله على الإنسان فى كل زمان وعلى مر العصور.

وما أجمل خلق الله فى الورود المختلفة الألوان والتى تختلف تماماً عن بدايتها وهى النبتة الخضراء، فكيف تكون اللون الأبيض والأحمر والأصفر وغير ذلك من الألوان الزاهية والتى تبعث فى النفس البهجة، ولايملك الإنسان معها إلا أن ينطق بكلمات التسبيح إعترافاً بقدرة الله وإبداعه فى كل ما تقع عليه العين، والتى تتجلى فى قوله تعالى كن فيكون...، وتتجلى قدرة الله تعالى فى خلق حبات الأرز البيضاء والقطن الأبيض الخيطى والفواكه المختلفة من الطين الثابت أو من بين الأوراق الخضراء فسبحان البديع الذى عظمت قدرته وتجلت أسراره.

وعبر الصحارى الممتدة المترامية الأطراف وما تحتويه من الجبال الثابتة تتجلى قدرة الله، فرغم تلك الصحارى الممتدة وما عليها من الجبال، ورغم ما يستقر على الأرض من البشر وما فيها من القرى والمدن والشوارع الممتدة، والحقول الشاسعة، والبحار والمحيطات، فإن الأرض جميعاً بما عليها هى قبضة الله تعالى، ورغم تلك السماوات الهائلة وما تحتويه من الأسرار، ومن الكواكب والنجوم الكثيرة، رائعة النظام والتى فيها ما يفوق حجم الأرض وحجم الشمس بمئات المرات، فإن السماوات السبع وما فيها وما تحتويه من تلك النجوم الهائلة والتى قد يصل عددها فى مجرتنا إلى حوالى مائة مليار نجم تقريباً وفى كوننا من أمثال هذه المجرة بما تحتويه من هذا العدد من النجوم حوالى مائة مليار مجرة تقريباً، ورغم هذا الكون الشاسع، فإن السماوات السبع وما فيها مطويات بيمين الله عز وجل يقول

تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[1] .

ومن قدرة الله وإبداعه تقلب السنين بين الصيف والشتاء وتقلب الأيام بين الليل والنهار، فعندما يشتد الصيف يبدو احتياج الإنسان لبرودة الشتاء، وحين تشتد البرودة يتطلع الإنسان لحرارة الشمس ودفئها، وعندما ترسل أشعتها كأنما تحنو على الإنسان بأمر خالقها الرحيم بعباده، نردد شكر الله بعد أن تذوقنا حلاوة النعمة من القلب، فنحن بشدة البرودة نشعر بقيمة الشمس وحاجتنا لدفئها، وبشدة الحرارة نشعر بحلاوة الظل وقيمة الشتاء ومنافع المطر.

إن كل ما فى الكون ينطق بإبداع الله وقدرته، وكل ما فى نفسك يشهد بذلك أيضاً...، فتأمل تكوينك من الماء المهين وكيف أصبحت كائناً تتحرك تفكر وتشعر وتسير هنا وهناك، تأمل كيف تكونت المادة السوداء والبيضاء من قطعة اللحم المصمتة لتكون العين للرؤية...، تأمل الإصبع الخامس على مسافة من الأصابع الأربعة حتى يتمكن الفلاح من أن يقبض على فأسه والعالم من أن يمسك بالقلم...، وتصور مدى ما تشعر به من الضيق والألم عند توقف نفسك للحظات ومدى ما يستحق الله تعالى من الشكر على خروج هذا النفس، وتصور مدى ما تشعر به من الضيق والألم عن إحتباس بولك ومدى ما يستحق الله تعالى من الشكر على خروج هذا البول، وتصور مدى ما تشعر به من انقطاع من الأرض بموتك، ومدى ما يستحق الله تعالى من الشكر بأن أنعم علينا برؤية المؤمنين له وجعل الجنة

---

[1] سورة الزمر آيه ٦٧

لهم خالدين فيها ولم يكن الموت...، هو النهاية فعلى كل إنسان يركض فى الدنيا تائهاً غافلاً يبحث عن السعادة وقد أرهقه المشوار ولايجد من يأخذ بيده، عليه أن يلجأ إلى خالقه الذى صنعه بإبداعه وصوره فى أحسن صوره وجعل الكون من حوله فيه كل أسباب سعادته، وجعله فى الأرض خليفة ينتهى عن كل فساد وظلم ولايحب إلا ما يحب الله، والله لا يحب إلا الخير والعدل والسلام والرحمة والبر والتعاطف وهو طيب لايقبل إلا طيباً، ورسالته رسالة النور والأمان، رسالة ليس بعدها ضلال، رسالة تنطوى كلماتها الطيبة وكنوزها الثمينة على الطريق المستقيم، كتاب الله وسنة النبى ﷺ، من ألتزم بهم فاز بخير الدنيا والآخرة...،

الكـون .. و روعة الإتـقان

إن قدرة الله تبدوفى كل شئ حولنا.....،

والإنسان يشعر دائماً بالضعف حين يتفكر فى كون الله الشاسع...، وفى قدرة الله فى نفسه وفى كل شئ حوله...، فتلك الصحارى الممتدة وما تحتويه من الجبال الراسيات، هى قطرة فى ملك الله...، وتلك البحار بامواجها المتلاحقة، تشهد بالقوة لله، وتزرع فى النفس الخشية...، وتلك أشجار الظلال فى الأرض الخضراء...، وتلك الأنعام وسط المراعى والحقول ...، وهناك يسعى البشر...، وتختلف الكائنات، وتدور الأيام...، ويتفاوت الرزق..، وتختلف الأعمال...، ومع التأمل تبدو روعة الكون وإحكامه، حيث الليل الذى يسكن فيه الناس وقد جعله الله تعالى راحة للأبدان ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾[1]، ونهارُ يسعى فى نوره البشر ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾[2]. شمسُ تضئ...، وقمرُ ينير..، صيفُ وشتاء..، قرى ومدن..، ومدينة وحضارات..، تفاوتُ فى الغنى والفقر والصحة والمرض..، أمنياتُ تتحقق..، ورجاءُ يأتى مع التضرع والدعاء..، بحارُ تجرى بأمواجها..، وأفلاك تسبح فى الفضاء ويمسكها رب السماء منها ما يفوق الأرض حجماً وامتداداً، بل ويفوق الشمس بآلاف المرات..، إنها صور تعكس لنا أنوار القدرة وإبداع الخالق فى كونه...، فما أشد تقصيرنا نحو شكره، ويكفينا فضلاً بعد تلك لنعم، نور التشريع، ومنهج الإسلام الذى يدعو إلى كل خير، فهو دعوة الخير للبشرية كلها فى كل زمان...، حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن...، وألف بين القلوب...، ودعى إلى البر وصلة الرحم...، وأمر بالرحمة مع كل شئ، ولقد كانت وصية الرسول ﷺ "من لا يرحم الناس لا

---

(١) سورة النبأ الآية ١٠.

(٢) سورة النبأ الآية ١١.

يرحمه الله"، وروى أن أمرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها فلا هى أطعمتها، ولا تركتها تأكل من حشائش الأرض...، ولقد حرم الربا، وقتل النفس، والخصام فوق ثلاث، وجعل خير الناس من يبدأ بالسلام...، لذلك فأنا أشهد بما يملأ قلبى وأشعر به، وبما يستقر فى عقلى من حصاد التفكر ومعرفة الأدلة...، أشهد أن الله هو الواحد القهار، خلق وأحصى وأبدع كل شئ...، وأنه السميع البصير والرازق والشهيد على كل شئ...، فإذا كان أصبعك الخامس فى يدك يتباعد حتى تتمكن من مسك الأشياء والتحكم فيها، ويدل ذلك على أن الله تعالى مبدعُ فى خلقه، فإن فتحة الفم والأسنان الصلبة من وسط الدم واللحم تدل على أن الله الرازق، فهى نعمُ تدل على صفته...، وسبحانه شهيدُ على كل شئ، وكثيراً ما كانت المواقف تحدث فى عصر النبى ﷺ منها ما هو صوابُ، فينزل الوحى يذكى ذلك بالآيات التى تبقى على مر الزمن...، ومنها ما هو خطأ فكانت آيات العتاب أو الوعيد من الخالق الشهيد..، فكأن الأحداث تقع لنها مكتوبة من قبل فى اللوح المحفوظ، فاحذر أن يراك الله على معصيته وتصور كيف يكون حالك لو نزل فيك قرآناً أة آية يتوعدك فيها الخالق الذى لا يخلف الوعد بالعذاب الشديد، وقد نزل القرآن فيمن عاهد الله ورسوله وطلب دعوة من النبى ﷺ بأن يغنيه الله بعد فقرة وسوف يتصدق ويجود على الفقراء، ولكنه أخلف فى وعده وبخل وشغل عن الصلاة فنزل قوله تعالى ﴿ومنهم من عاهد الله لئن ءاتنا من فضله، لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما ءاتهم من فضله بخلوا به. وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله وما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[1]

---

[1] سورة التوبة الآية ٧٥-٧٧.

وفى حياة أبى لهب قال تعالى ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾[١] ولم يستطع أبى لهب ان يكذب القرآن ويشهد أن لا إله إلا الله...، وقد سمع قول المرأة التى جاءت تحاور النبى ﷺ وتشكو إليه فعل زوجها يقول تعالى ﴿قد سمع قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾[٢].

ومع تلك الشهادة، أشهد أن أى انسان لا غنى له عن منهج الله وجوانبه الروحية، التى هى أصل كيان الإنسان فأى قوة للماء المهين، إذا لم يذكر الله ويستمد القوة منه...، وأى نور يضئ لك فى الظلمات إذا لم يكن هو نور الإيمان ومعرفة الخالق، العاطى الوهاب...، واللطيف الخبير...، إن من ينسى خالقه ويجحد ذكره فهو بالفعل قد ضل عن الطريق، وهو بالفعل يتخبط فى الظلمات ولن يخرج منها إلا بذكر الله ومعرفته مع اليقين الثابت...، لذلك أقول لكل من يبحث عن السعادة، ويركض فى الدنيا هنا وهناك بحثاً عنها، لن تجدها إلا فى الإيمان بالله...، فهو دليل وصولك للجنة، حيث غاية ما يشتهى الإنسان وما يتمنى، ومن يغفل عن الإيمان فهو مقطوع من الأرض بموته، حيث استبدل خلوده فى الجنة بالمصير إلى النار، وهو الخسران المبين يقول تعالى ﴿ أفمن كان على بينه من ربه كم زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم﴾[٣] وكلما سرت على طريق الله زادك سبحانه من عنده هوى ومعرفة، يقول تعالى ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتهم تقواهم﴾[٤].

---

[١] سورة المسد الآية ٣.

[٢] سورة المجادلة الآية ١.

[٣] سورم محمد الآية ١٤.

[٤] سورة محمد الآية ١٧.

تلك شهادة أشهد بها، ولقد شهد الله بها الله فى الأزل..، وشهدت بها الملائكة...، وشهد بها أولوا العلم فى كل زمان...، ونصها قوله سبحانه "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة أولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الإسلام وما أختلف الذين اوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب"[1]. فما أعظم شهادة الله....، وما أعز دينه، حيث سيبقى الإسلام دائماً باقياً منصوراً بشهادة الله...،

---

[1] سورة آل عمران الآيات ١٨-١٩.

الغنـاء .. وأمراض القلـوب

أسأل نفسى دائماً كيف يلهو الإنسان ويمرح وهو حتماً سيوقف للسؤال...، وكلما سمعت الأغانى واللهو، وأحاديث كثيرة فيها الجدل حول أمور دنيوية، ومشاغل مادية وحال المسلمين كما نرى يحاربون، حقداً وحسداً من أعدائهم، أشعر أننا فى عصر الغفلة، وأتذكر كلام الله، وسنة رسوله، والمصحف الموجود فى كل منزل، وأتصور ذنوب من تركوه مهجوراً، وهو رسالة الله الدالة على كل خير، وهو الرسالة التى تصنع دائماً أقوى الرجال...، لقد كان القعقاع بن عمرو صوته بألف رجل فى المعركة، وكان الزبير بن العوام بألف رجل فى المعارك ولقد أرسل عمرو بن العاص فى فتح مصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب منه مدداً لمواجهة جيش الروم فى مصر فأرسل له الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أربعة رجال من مشاهير الصحابة، وكانوا هم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعباده بن الصامت ومسلمه بن مخلد وكتب له الخليفة قائلاً: أمددتك بأربعة آلاف ومعهم أربعة الواحد منهم بألف رجل...، ولقد تربى هؤلاء الرجال على مائدة القرآن الكريم فكانوا رجالاً ذكرهم التاريخ وسيظل يذكرهم على مر الزمن، لذلك فإن الغناء لايُنجب رجالاً...، فقد َحَرَّمه الله على النساء، فما بالنا بمن يغنى من الرجال، ولقد تنبأ النبى ﷺ، بالخسف والمسخ والقذف إذا ظهرت القينات والمعاذف، والقينات هن فتايات اللهو والغناء والمعاذف هى الموسيقى التى ملأت شوارع المسلمين الآن...، وهناك من تغيرات ملامح وجوههم إلى ملامح القردة بسبب الإسراف فى المعاصى وشرب الخمر ولقد ظهر الخسف متمثلاً فى الزلازل والكوارث خصوصاً فى البلاد التى يظهر فيها الفحش، أو تظهر فيها النساء الكاسيات العاريات، ولقد مر النبى ﷺ على راعياً ينفخ فى مزماره فسد أذنيه، وحين استأذنه رجل فى أن يبيح له الغناء،

غضب منه ولم يأذن له، فالغناء كما أخبرنا ﷺ يُنبت النفاق فى القلب كما يُنبت الماء البقل.

فعلينا أن نقلع عن كل شئ يقربنا من النفاق لأن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، وعلينا أن نعود إلى كتاب الله وسنة النبى ﷺ حتى نكون من الرجال اللذين يرفعون راية الإسلام، ويدفعون الظلم عن إخوانهم المسلمين، فأعداء المسلمين اليوم لم يرحموا نساءهم ولم يرحموا حتى الأطفال الأبرياء...، ولم يرحموا الأجنة فى بطون أمهاتهم...، فهل آن لنا أن ننتهى عن عشق الغناء واللهو، وفى عهدنا يموت المسلمون وأطفالهم حولنا بأبشع الصور، هل آن لنا ان نعود إلى التجارة الرابحة، وإلى طريق النصر والعزة والنجاة، من الذل والعذاب يقول تعالى ﴿يا أيها اللذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين.﴾[1] هذا هو طريق النصر...، ولن يكون النصر يوماً مع الغفلة وعشق اللهو وحفلات الغناء...،

---

[1] سورة الصف الآيات من ١٠ – ١٣

طريق الجنة

تمر بنا الكثير من اللحظات والأوقات الطيبة، وكثيراً ما تصفو لنا الحياة، بما فيها من الخير والأمل...، وتمر الأيام على ذلك...، بل وتمر سنين العمر وتسقط منا يوماً بعد الآخر...،

والسؤال هو كيف لانفتن بها ولا نغتر بزخرفها؟ وهل تدوم علينا تلك اللحظات وتلك الأوقات؟ وإنها لتتغير وتتبدل وإنها لتقترب بنا دائماً وبسرعة نحو الموت، بل وهى تدور ولاتتوقف أبداً حتى تأخذنا حتماً إلى تلك النهاية من هنا نجد أن هناك حياة حقيقية، يجب أن نبحث عنها ولا نضيعها وهى الحياة الدائمة الخالدة فى الدار الآخرة يقول تعالى ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[1].

ولكى نفوز بهذه الحياة الدائمة علينا أن نجعل لسنين العمر وأوقاته منهجاً نلتزم به ونسير عليه، فى أنفسنا وفى بيوتنا وخارج بيوتنا وفى صمتنا وفى تعاملنا مع الآخرين.

أولاً فى أنفسنا:

علينا بذكر الله دائماً، فذكر الله من أحب الكلام إلى الله وهو غراس الجنة، وبه يثقل ميزان العبد يوم القيامة، ويجب أن يكون الذكر مقروناً باليقين والتفكر والشعور بنعم الله من حولنا، ذلك لأن كل إنسان سيندم على

---

[1] سورة آل عمران آيه ١٣٦

كل لحظة تركها بدون ذكر الله يقول ﷺ ﴿ليس يتحسر أهل الجنة على شئ إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها﴾[(١)].

ثانياً فى بيوتنا:

علينا بنصيحة الأهل والزوجة والأولاد وتفهيم الزوجة أن طاعتها لربها تستوجب طاعتها لزوجها حتى تكون مقبولة العبادة، فمن الثلاثة اللذين لا ترفع صلاتهم فوق رؤسهم شبراً، إمرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإلزامها بالذى الإسلامى الذى يقيها عذاب الآخرة، لأن من أصناف النار كما أخبرنا رسول الله ﷺ، نساء كاسيات عاريات لايدخلن الجنة ولا يجدن رائحتها كذلك علينا بالرفق والمعاملة الطيبة لنسائنا فإن"من•خيرة المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله"[(٢)].

كذلك من الرحمة، الرفق بالأطفال ومحاولة إسعادهم وعدم القسوة عليهم، وعلينا أيضاً قراءة القرآن فى كل يوم، فالحرف بعشر حسنات، ويفوز من يقرأ الصفحة الواحدة بما يقرب من ستة آلاف حسنة وبذلك يثقل ميزان العبد، وتظل حسناته دائماً تفوق سيئاته وما أحوجنا إلى ذلك يقول تعالى ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، وما أدراك ما هيه، نارٌ حامية﴾[(٣)] ويقول ﷺ عن فضل قراءة القرآن وثواب قرآءته "من

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير - صحيح الدعاء المستجاب صـ١٣

(٢) رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح على شرطهما ــ الترغيب والترهيب صـــ ٤٩ الجزء الثالث

(٣) سورة القارعة الايات من ٦-١١.

قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنه، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف ولا مُ حرف وميم حرف"[١].

ومن الفضل الذى يناله قارئ القرآن، أن الله يحميه من أن يحشر أعمى مع المعرضين عن ذكر الله، يقول تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[٢].

وعلينا أيضاً بالمحافظة على الصلاة فى المسجد والحرص على صلاة الجماعة والخشوع فيها حتى لاترد علينا الصلاة ولا تقبل، والخشوع فيها يكون بإتمام ركوعها وسجودها والتفكر فى أننا نناجى رباً خالقاً للكون قادراً، حتى تكون كلمات التسبيح من القلب، وحتى لا نردد كلمات الشكر دون أن نشعر بها، ولقد كان ركوع النبى ﷺ يقترب من وقوفه، وكان يقف خاشعاً ثابتاً كأنما هو جذع نخلة، ومن الصحابة من اختار أن تبتر ساقه عند سجوده، حيث ينسى كل شئ فى صلاته إلا ربه عز وجل، إنهم عرفوا عدوهم وحرصوا أن لا يسرق منهم كنز الصلاة الموصل إلى الجنة...،

وفى بيوتنا أيضاً علينا أن لا نغفل قيام الليل وذكر الله، خصوصاً فى الثلث الأخير من الليل، فإن الله ينزل فى هذه الفترة ويسأل عن المستغفرين ليغفر لهم، وعن السائلين ليعطيهم، بل وإن قيام الليل يكون لك نوراً فى قبرك وما أحوجنا لهذا النور...، ويجب أن لا نغفل فى بيوتنا عن أذكار الصباح والمساء فهى ذكرُ لله ووقاية لك طول يومك من كل سوء، وهى بداية طيبة

---

[١] أخرجه الترمذى فى كتاب فضائل فى كتاب فضائل القرآن وأخرجه البخارى فى التاريخ (٦٣٤٥) صحيح الجامع الصغير ــ صحيح الدعاء المستجاب صـــــ٢٥

[٢] سورة طه ١٣٤

وخاتمة طيبة لأنك تقولها فى بداية اليوم ونهايته، والأعمال كما أخبرنا ﷺ بالخواتيم.

ثالثاً: فى طريقنا وخارج بيوتنا

علينا أن نردد عند خروجنا دعاءاً كان يردده النبى ﷺ حين يخرج من بيته فكان يقول "بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنى أعوز بك أن أضل أو أُضل، أو أزل أو أُزَل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل على"[١].

وبذلك نكون فى حماية الله طوال يومنا، وعلينا أن نلق السلام على من نعرف ومن لانعرف وفى ذلك إحياءاً لسنة النبى ﷺ فى زمن إنتشر فيه سلام الخاصة وهو علامة من علامات الساعة أخبر بها ﷺ وهو أن يسلم الرجل ويلقى السلام على من يعرفه فقط، ولقد بشرنا النبى ﷺ بأجر من أحيا سنته فى مثل هذه الظروف من الغفلة، بأن له أجر مائة شهيد، فعلينا بأن لانضيع هذا الثواب بالجفوة عن السلام لكل المسلمين وكل من نعرفه ومن لا نعرفه، حتى تنتشر المحبة وتصفو النفوس وتذوب الأحقاد...، وكذلك علينا خارج بيوتنا بغض البصر...، لأن زنا العين النظر، وإن وقاية عينك من الحميم أعظم فوزاً لك من نظرة شهوة تمر منها صفر اليدين، خائناً لأخيك المسلم فى الدنيا وخاسراً ربك فى الآخرة ومضيعاً ثقتك فى إيمانك بربك فيتغلب عليك الشيطان ويوسوس لك بمعصيتك، ويساعدك على أن تكمل يومك فى المعصية، لذلك فإن من يغض بصره فى الدنيا خشية من الله يبدله الله بذلك إيماناً، يجد حلاوته فى قلبه، وفى ذلك يقول ﷺ فى الحديث القدسى

---

[١] صحيح أخرجه ابو داود والترمذى بأسانيد صحيحة من وصايا الرسول ﷺ خمس وخمسون وصية صـــ ١١٠

"النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتى أبدلته إيماناً يجد حلاوته فى قلبه"[١].

وواجبنا أيضاً الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك فى بيوتنا وخارجها، فلقد دخلت منازلنا أجهزة تنقل لنا عادات وسلوكيات ليست من الإسلام فى شئ، فالعذاب والنقمة من الله يصيبان العبد الذى يرى تلك المعاصى فى بيته، وتراها زوجته وأولاده وهو لايبالى ولايغير تلك المشاهد إلى ما ينفع فى الدنيا والآخرة، كالبرامج الدينية والتعليمية الهادفة، حتى ينفعنا إيماننا، يقول ﷺ "لاتزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها قالوا: يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بمعاصى الله فلا ينكر ولا يغير"[٢].

ولابد ان نحرص على أن يكون كسبنا من الحلال، لأن كل لحم ينبت من الحرام فمصيره إلى النار، وما اشد عذابها.

رابعاً فى صمتنا:

يجب أن يكون صمتنا ذكراً وتفكراً فى خلق الله وأن نكون دائماً على إستعداد للحظة الموت ويوم الحساب، يقول تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى اجل مسمى﴾[٣].

---

[١] رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة وقال: صحيح الإسناد ـــ الترغيب والترهيب صـــ ٣٤ الجزء الثالث

[٢] رواه الأصبهانى عن أنس بن مالك ـــ الترغيب والترهيب ـــ الجزء الثالث صـــ ٢٣١

[٣] سورة الزمر آيه ٤٢

أى أن الإنسان يمكن أن يتوفاه الله فى أى وقت أو اثناء نومه، فيمسك روحه وينتهى أجله، أو يرسلها إلى ميعادها المحدد لها...، فعلينا التعجيل بالتوبة وكثرة الإستغفار وحمد الله فى كل وقت على نعمه التى لا تعد ولا تحصى، ويكفينا نعمه نعجز عن شكرها أن لنا رباً، جعلنا مسلمين، ولم يجعل الموت نهايتنا، ولكنه أنعم على المؤمنين برؤيته وأعد لهم الجنة خالدين فيها ، فحسبنا الله ونعم الوكيل فى كل امورنا، ونسأله أن يتولانا برحمته حتى نصل إلى هذا الفوز بفضله علينا ومغفرته...،

خامساً فى تعاملنا مع الآخرين:

علينا أن نرحم الصغير، ونوقر الكبير وأن نحكم أنفسنا عند الغضب، وندرك ببصيرة المتأملين أننا جميعاً إخوة من ابوينا آدم وحواء، فكيف يؤذى بعضنا بعضاً وكيف يسئ الأخ إلى أخيه...،

ولكى نكون من أهل الجنة، علينا أن نبيت وليس فى قلوبنا غلاً أو حسداً لأحد، وأن نزهد فى الدنيا وفيما عند الناس، يقول ﷺ "إزهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس"[١]

وعلينا أن نتناصح فيما بيننا ويذكر كل مسلم أخيه بما يراه فيه من الخطأ ليتجنبه، وما يراه فيه من الصواب ليستمر عليه وأن نتسلح جميعاً بالصبر على طاعة الله، ونستمر على ذلك دون تخاذل فى أى وقت، لأن الأعمال بالخواتيم، يقول تعالى ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا اللذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[٢].

---

[١] حديث حسن أخرجه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة من وصايا الرسول صـــ٧٣

[٢] سورة العصر

وبهذا المنهج إخوة الإسلام نسير سوياً على طريق النجاه، إلى الجنة فما أطيب هذا الطريق...، وأعلم أنه قد تعس عبد الدنيا والدرهم كما أخبر ﷺ...، إليه فما سواهما...، فإذا أنس الناس بشهوات الدنيا فأنس أنت بالله...، وأعلم أن الغنى فى التوكل على الله واليأس فيما عند الناس...، ولا تضيع صلاتك بعدم الخشوع وأعلم أن الله تعالى يراك ويسمعك، فلقد سمع قول التى تجادل فى زوجها وتشتكى عند رسول الله ﷺ...، واجعل لسانك رطباً دائماً بذكر الله...، وتذكر دائماً ذنبك وموتك وعلمك بقدرة الله...، واحفظ فكرك من خواطر السوء، ونظرك من التطلع إلى الحرام، وفمك من الغيبة واللغو والإسراف، وقلبك من الغفلة عن ذكر الله، وأفعالك من أن تكون فيما يغضب الله لأن الأعمال بالخواتيم...، وإن كنت مؤمناً فلا تهن ولا تحزن ولا تيأس من روح الله لأنه لايأس من روح الله إلا القوم الكافرون...، وأعلم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والزم الإستغفار يجعل الله لك من كل هم فرجاً ومن كل ضيقٍ مخرجاً ويرزقك من حيث لا تحتسب...،

أيات الله فى الطبيعة

تتجلى قدرة الله فى إبداع الكون، واختلاف الناس فى ألوانهم وطبائعهم واختلافهم فى درجات العلم، وتفاوتهم فى الرزق وانواع العمل...،

وتختلف القرية كثيراً عن المدينة، فالقرية أرض الطبيعة الخلابة الساحرة، أرض النخيل والشجر، وفيها يتسع التأمل حيث تبدو حلاوة كل شئ...،

وحين لايتدخل الإنسان كثيراً فى طبيعة ما خلق الله يبدو والمشهد اكثر إبداعاً وجمالاً، فالقرية بطبيعتها ونخيلها وأشجارها ومبانيها المتواضعة البسيطة، تبدو دائماً أجمل من المدينة، بصخبها وعلو مبانيها وأدخنة مصانعها، فالجلسة فى ظل الشجرة العالية يختلف تماماً عن الجلسة تحت ظلال المبانى الشاهقة، والسير فى شوارع المدينة الصاخبة يختلف كثيراً عن السير وسط الحقول الخضراء حيث بساطة الفلاح، وجمال الأنعام، وحيث مياه الترع، وأصوات السواقى الدائرة فى كل مكان...،

إن أقل ما نملكه هو أن نردد من قلوبنا كلمات الحمد والشكر بلا نهاية، لأن لنا رباً جمل الكون من حولنا...، هذا الجمال الذى يبدو فى إشراقة الصبح...، ومنظر الأشجار...، وإتساع البحار...، وهدوء الأنهار...، وشكل الثمار...، ونسيم الهواء...، وتعاون البشر...، والرحمة التى تحيطنا فى كل زمان بمعانى القرآن وصوت الآذان وأبواب التوبة...، ونعمة الإيمان...، وهناك الوعد بالجنة وفيها كل ما يتمناه الإنسان خالداً فيها، فما أجزل عطاء الله، وما أروع إبداعه فى كونه، وما أرحمه رباً...، فهو القوى الذى يأمرنا بالتراحم والرفق فيا بيننا...، وما أطيبه رباً فهو الطيب الذى لايقبل إلا طيباً...، أمرنا بكل ما فيه الخير والرحمة...، لقد

أمرنا بعدم الظلم وبر الوالدين، وإفشاء السلام وإطعام الطعام وآداء الأمانة وحب الخير لغيرك كما تحبه لنفسك ودعانا إلى حسن الجوار، وصيانة الحقوق وحرمة دم المسلم وما له وعرضه، وغير ذلك من الوصايا التى حين ينظر فيها المتأمل يرى رباً رؤوفاً بنا، لا يرضى لنا إلا بالخير، فهو لا يريد منا القبح لأنه جميلُ يحب الجمال، وهو لا يريد منا الظلم لأنه العادل الذى لايرضى بالظلم، ولأن نعمه علينا كثيرة، لاتعد ولا تحُصى فى أنفسنا وفى الكون من حولنا لذلك فإن الله يسخط على الجاحدين والمنكرين لنعمه، والغافلين عن شكره، فكيف يجحد الإنسان ومن حوله هذا الكون الممتد، وما سخره الله من النعم وما دعى إليه من دعوة كلها إلى الخير والبر والرحمة...، لذلك فإن الذنب الذى نظنه هيناً، هو عند الله عظيم، وهو المقسط الذى يقدر ما يستحقه الجاحدون من العذاب لإعراضهم علىدعوة الخير والشكر عن تلك النعم...، وكيف يجحد الإنسان ومن حوله هذا الكون الممتد يتنعم بما سخره الله من النعم، وما الذى يشعر به ويعبر صدره حين ينظر متأملاً فى كل ما يحيط به من آيات وإبداع...،

إن قدرة الله تتجلى فى نظرة تأمل عند شروق الصبح...، تتجلى فى مشهد هدوء البحر وروعة الأشياء عند الغروب...، تتجلى فى شكل الصحارى ورسوخ الجبال وصمت المكان...، تتجلى فى شكل الحقول، وقطارات السفر، واختلاف النخيل والشجر...، تتجلى فى سعى البشر...، وفى سكون الليل...، وتسبيح الطيور...، تتجلى فى شكل الورود وتسبيح الجماد وتسخير الدواب...، فما أروع إبداع الله وما أشد صراع الإنسان، وما اكثر جحوده، حين ينسى أنه الماء المهين، وحين يلهو فيغفل عن هذا الإبداع...،

لحظـات الشـروق

ما أجمل الشروق.
وما أروع الكون حين تسرى إليه أضواء النهار.
تلك الصحارى الممتدة بجبالها ورمالها، وهذا الصمود الذى يبدو للمتأمل فى كل وقت، رغم اختلاف الأحداث فى عالم البشر، وكأن الصمت والهدوء هو دائماً ثوب الصحارى والجبال...، وما أبلغ ما تركه ذلك فى نفس الإنسان من صفاء التأمل وصدق الموعظة، ومشاهد القدرة الواضحة...، والتى تبدوفى صمت المكان...، وامتداد الصحارى...، ورسوخ الجبال...، وكأنها صوراً تنطق كلها بعظمة الله وقدرته وتشير إلى قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾[١].

ما أجمل الشروق، حين تبدو تلك القرى الطيبة، بسكون نخيلها، وأشجارها المختلفة على أطراف الحقول والترع وحول السواقى القديمة الصامتة...، وهذه الأوراق الخضراء التى تتساقط من أطرافها قطرات الندى، فتبدو أكثر جمالاً وخضرة، لأنها تستقبل اليوم الجديد...، وأصوات الطيور السعيدة الطائرة فى كل مكان، حين تسبح الخالق على أشجارها وتتنقل أحياناً من بين أشجار الصفصاف إلى النخيل الصامد العالى، كأنما تتأمل فى ملكوت الله خالقها ورازقها...، لقد جعل الله لها الأمعاء الملتفة، والقلب النابض والرئتين، وبصراً حاداً، ومنقاراً يلتقط الحب، وريشاً وعظاماً من أصل البداية التى تختلف تماماً عن ذلك كله، وهى المادة الصفراء والبيضاء فى البيضة المغلقة، والتى لم تمتد إليها يداً إلا يد الله وقدرته، فسبحان القادر البديع...، ما أجمل الشروق، حين تشرق فى النفس أنوار

---

[١] سورة الزمر آيه ٦٧

الإيمان ومعرفة الخالق الذى يملك الكون ويدبر كل ما فيه من شئون الخلق ومختلف الكائنات والدواب...،

والشروق فى القرية يحمل معانى كثيرة يدركها المتأملون، فهو البساطة الواضحة على كل شئ...، حيث المنزل الطينى المتواضع...، وأصوات الطيور المسبحة...، والفلاح الذى يسعى مبكراً إلى أرضه، يحمل أدوات زراعته، حيث يستنشق نسيم الصباح فى قلب الأرض الخضراء...، وحيث ينظر فى سعادة إلى ما يملك من الأنعام وهى تأكل من رزق الله فى سكينة وهدوء ومن حوله الماء والسواقى والشجر...، والحقول الممتدة الخضراء فى صورة هى من أجمل صور الإبداع، وهو يعمل فى سعادة حتى يأتى الغروب، حيث المعانى التى تحملها النفس من أروع المعانى وأجمل الصور، وعندما تذوب كل الهموم والمتاعب بجلسة طيبة بعد نهاية العمل وسط أفراد الأسرة البسطاء الشاكرين لله على ما رزقهم من الحب والثمر والزروع المختلفة الألوان والأشكال من الطين الثابت بقدرة الله كن فيكون...،

وهناك الشروق على أطراف المدينة العامرة بالناس ومختلف الأماكن والأحياء والتقاليد الشعبية...، وهناك تختلف الصورة كثيراً عن القرية، حيث زحام الناس وحركة السيارات والعمال فى كل مكان طلباً لرزق الله وتنفيذاً لأمره ﴿فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[١].

وفى الصحارى والغابات تشرق الشمس على الكثير من الكائنات والحيوانات المختلفة التى لها طريقتها فى معيشتها كما ألهمها الله تعالى...، إنها الحياة الخاصة بهم وفيها النظام والسعى والتناسل وتربية الصغار

---

[١] سورة الملك أيه ١٠

وأماكن الراحة بما يناسب كل نوع بعد متاعب اليوم الطويل، فهم كما أخبرنا الله تعالى أُممُ أمثالنا، فسبحان الذى قدر فهدى...،

وعلى شواطئ البحار يختلف الشروق، حيث تمتد مساحات المياه الشاسعة لتشهد بعظمة الله البديع...، واشعة الشمس التى تسقط بألوانها وأطيافها المختلفة، فتعكس صوراً لامثيل لها على سطح المياه...، فأحياناً يبدو سطح البحر من بعيد أخضر اللون، وأحياناً يميل إلى الزرقة، وأحياناً تختلط الألوان، وتكتمل الصورة جمالاً بتلك الأمواج المندفعة بخطوطها البيضاء، والتى تقبل من بعيد لتحتضن فى النهاية صخور الشواطئ فى صخب رائع ونظام بديع، يشير إلى طلاقة القدرة وإبداع القدير...،

ومع الشروق على أرض الصحارى والمدن، هناك الشروق على أرض البلاد البعيدة عبر القارات المختلفة فى كل مكان...، حيث تختلف البلاد بما تحتويه من الطبيعة الخلابة، والمدنية الظاهرة وما فيها من مختلف البحار والمحيطات والصحارى والمدن...، وما تحتويه من الطرقات الممتدة ومظاهر الحضارة واختلاف التقاليد وأسلوب العماره وطبائع البشر...،

وهناك ألوان الناس وحضاراتهم المختلفة، إنها حياة خاصة وذكريات تمتد من عصر الأجداد وعلى مر العصور جيلاً بعد جيل...، إن شروق الشمس هو آية كونية تحمل الكثير من المعانى فى النفس والعقل لمن يتفكر وينظر فى الكون ويعتبر...،

فالشمس تشرق على كل ما فى الكون...، على القرى والمدن...، وعلى الصحارى والحقول...، وتشرق على الصحيح والمريض...، والغنى والفقير...، وتشرق على بلاد تعيش فى فصل الشتاء وأخرى تعيش فى فصل الربيع رغم ما يحمله كل فصل من معانى وذكريات، وهناك من يعيشون

على أرض يكسوها الجليد، ومن يشتاقون فى نفس الوقت إلى أن يسقط المطر، وحيث يتغير كل شئ...، تزدهر المزارع وتبدو روعتها، وحيث أسطح المنازل المبتلة، ودفء المواقد المشتعلة وسكون الناس فى منازلهم، بعد نوبات المطر الغزيرة...، ورغم ما تحمله اللحظة من المعانى فى فصل الشتاء، هناك الشوارع المزدحمة بحركة الناس، وأنواع التجارة والأضواء الليلية والحركة الدائبة فى بعض البلاد الأخرى التى يحتويها الصيف بذكرياته وما يتميز به من طبائع وأمنيات...،

والشمس تشرق على أنواع الناس المختلفة...، من يقنعون بالقليل...، ومن يتصارعون من اجل عشقهم للدنيا...، وغابت عنهم حقيقة الأيام التى تفنى وتنقضى دون شعورهم، ودون أن يعملوا للأخرة الباقية وقد غاب عنهم قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾

وفى النهاية يأتى الغروب...، حيث السكون الذى يلف الكون ويطويه فيصنع فى النفس أجمل لحظات التأمل...، وحيث ألوان الشمس البديعة والتى كأنما تختلط من بعيد على شواطئ البحار بالأمواج الهادئة، لتكون الصورة من أجمل الصور، وتكون اللحظة حين يصحبها التسبيح والتفكر هى من أجمل اللحظات.

إن من ينظر فى الكون بعين التأمل يرى الكثير من آيات القدرة والإبداع فتمتلئ نفسه بأجمل معانى المعرفة بخالقه الذى أحسن كل شئ خلقه...، فيصبح الذكر أملاً يسرى فى كل كيان الإنسان...، وبذلك تبدأ فى النفس أروع لحظات الشروق...، شروق الإيمان والنظر والتفكر فى قدرة الله البديع...، ويكون الحصاد، كلمات التسبيح التى تطمئن بها القلوب فى الدنيا وتسعد بنعيم الله فى الآخرة...،

كلمات لها معنى

دائماً تسعدنا الكلمات الطيبة حين تعبر معانيها القلوب...،
وأحياناً تمر الكلمة على إحساس الإنسان فى لحظات الألم فتملأ كيان الإنسان بالأمل والسعادة عبر مشوار الحياة...، والإيمان يجعل الكلمات دائماً كالنسيم لها معنى يريح النفس ويسعدها، لأنك تراقب الله وتخشاه فى كل كلمة تنطق بها ولذلك لن تقول مع إيمانك إلا خيراً...،

وأحياناً تكون السعادة فى صمت الإنسان حين يثقل به ميزان العبد يوم القيامة، يقول ﷺ وهو ينصح أبا ذر رضى الله عنه "يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر وأثقل فى الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: "عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذى نفسى بيده ما عمل الخلائق بمثلهما"[١].

وربما هناك كلمات تؤدى إلى هلاك صاحبها فى الدنيا وجلب الأضرار الكثيرة للغير وذلك إذا كانت سبباً فى إثارة الفتن وإيقاظ حبائلها بين الناس والهلاك فى الآخرة بتحمل أوزار الغيبة والخوض فى أعراض الناس وفى ذلك يقول ﷺ "إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن ان تبلغ ما تبلغ يهوى بها سبعين خريفاً فى النار"[٢].

---

[١] رواه ابن أبى الدنيا والبذار والطبرانى وأبو يعلى والبيهقى بزيادة ورواته ثقات "الترغيب والترهيب صـــ٥٣٣ الجزء الثالث.

[٢] رواه مسلم ــ الترغيب والترهيب صـــ٥٣٧

وأحياناً تكون الكلمة كالنسيم لها معنى وفيها أسباب الثراء...، وثراء الكلمة يفوق الثراء المادى بكثير، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال سول الله ﷺ "من قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة فى الجنة"[١].

ويصف لنا النبى ﷺ نخلة الجنة، بأن ساقها من الذهب وثمارها أحلى من العسل وألين من الزبد، فأى ثراء يمكن أن يطلق على من يملك نخلة واحدة فى الدنيا بهذا الوصف، إنه سيصبح من أكبر الأثرياء بين الناس، فكيف نضيع الوقت دون أن ننطق بهذه الكلمة، التى لايقتصر فضلها على ذلك فحسب، بل هى من الكلمات الثقيلة فى الميزان، الحبيبة إلى الرحمن. يقول ﷺ "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"[٢].

وثقل الميزان يوم القيامة ليس شيئاً هيناً، بل هو من أعظم الفوز، ومن أربح الأمور، لأنه يكون سبباً فى دخولك الجنة وإنقاذك من النار، يقول تعالى ﴿فأما من ثقلت موازينه. فهو فى عيشة راضية. وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية. وما أدراك ما هيه. نارُ حامية﴾[٣].

إن الإنسان يجتهد كثيراً فى الدنيا، ويتعب فى إصلاح الأرض وغرسها وهو يلاقى الكثير من العناء فى حر الشمس، وأوقات البرد من أجل أن يجنى محصولاً فى النهاية يمكن أن يجنى أفضل منه بأبسط الكلمات وأيسرها، دون أن يبذل جهداً أو يرهقه شيئاً من هذا العناء...، إنها كلمات

---

[١] أخرجه البزار بإسناد جيد، من وصايا الرسول ﷺ صــ ٩٩

[٢] أخرجه البخارى فى الدعوات ـــ باب فضل التسبيح ـــ صحح الدعاء المستجاب صــ ١٥

[٣] القارعات الآيات من ٦ - ١١

بها يكون غراسك فى الجنة، وفى ذلك يقول النبى ﷺ، حين مر بابى هريرة وهو يغرس غراساً فقال: "يا أبا هريرة ما الذى تغرس؟ قلت: غراساً، قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة"[١] ومن فضل هذه الكلمات أيضاً أنها من أحب الكلام إلى الله عز وجل، يقول رسول ﷺ "أحب الكلمات إلى الله تعالى أربع: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لايضرك بأيهن بدأت"[٢].

وعلى الإنسان حين يقول سبحان الله أن يدرك ما تحمله تلك الكلمة الطيبة من المعانى، فيتذكر قدرة الله فى الكون، وقدرة الله فى نفسه، وأنه صار إنساناً يفكر ويشعر ويتحرك بعد أن كان قطرات الماء المهين بلا قوة أو شعور، وبلا فكر أو بصر، وحين يقول الحمد لله، يحمد الله على كل نعمه فى نفسه ومن حوله وأنه ولد مسلماً...، ويشعر بفضل الله وقيمة خروجه من ظلمة البطن إلى هذا الكون الرحب الفسيح...، وأنه يرى بعينيه ما فى الكون من الجمال...، تلك العين التى كان تكوينها من المادة السوداء والبيضاء والى تختلف تماماً عن أصل البداية، وهى الماء المهين وقطعة اللحم المصمتة والتى تختلف تماماً عن تلك المواد ولكنها قدرة الله كن فيكون، فسبحان البديع...، والإنسان الذى يفكر فى نعم الله عليه أن يدرك أن كل نفس يتنفسه هو فرصة للتوبة تستحق الحمد والشكر منه لله قبل أن يغلق عليه القبر ويقطع عنه العمل، بل ويحمد الله تعالى على نعمة الصحة وعلى نعمة الرزق

---

[١] أخرجه ابن ماجه بأسناد حسن واللفظ له، والحاكم، وقال صحيح الإسناد، من وصايا الرسول ﷺ صـــ١٠٣

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب الأدب ــ صحيح الدعاء المستجاب صـــ ١٥

وعلى ما أطعمه الله من طيب الطعام، وما رزقه من الزوجة والولد وغير ذلك من النعم التى لا تعد ولا تحصى.

وحين يقول لا إله إلا الله يدرك معناها، وهو أن القوة لله وأنه وحده مالك الملك، والمنعم والمستحق للشكر والعبادة، ولو خلص هذا المعنى فى القلب، فإن كلمة لا إله إلا الله، تكفى لإنقاذ صاحبها وتحريم جسده على النار...، وإذا قال العبد الله أكبر، فعليه أن يدرك فى نفسه أن الله أكبر من كل شئ يغوى الإنسان فى الدنيا ويتعلق به قلبه لأن الله هو الخالق لكل شئ...، وأخيراً نقول إن الكلمة يمكن أن تكون هى سر سعادة الإنسان. ويمكن أن تكون هى سر شقاؤه فى كل زمان...، ويكفى فى ذلك أن الأعمال بالخواتيم، فإذا كانت لا إله إلا الله هى آخر كلمات العبد، كانت سبباً فى دخوله الجنة، والكلمة يمكن أن تكون هى سر شقاء الإنسان، إذا كانت كلمة الضلال والجحود والكفر أو كلمة تتسبب فى إشعال الفتن ونشوب القتل وإفساد السلام والأمن بين الناس...،

ومن فضل الكلمات الطيبة أنها يمكن أن تغفر ذنوبك كلها وكأنك تبدأ صفحتك من جديد، وفى ذلك يقول ﷺ " من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"[١]

فعلينا بترديد كلمات التسبيح الطيبة وعدم الغفلة عنها، وقراءة القرآن، ويكفى أن ثواب الحرف الواحد عشر حسنات، وثواب من يقرأ الصفحة الواحدة ما يقرب من ستة آلاف حسنة، ويزيد على ذلك ان قراءة القرآن توقظ من الغفلة، وتبين لنا طريق الفوز بالجنة، وعلينا أن لاننسى

---

[١] أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة ــ صحح الدعاء المستجاب صــ١٥

ختام الصلاة لما فيه من الفضل العظيم، ولا ننسى أن نردد كلمات الذكر من القلوب قبل أن يتقدم العمر بنا ونندم على كل لحظة مرت بنا دون أن نردد كلمات هى من أعظم الكلمات، واحبها إلى الله تعالى وأثقلها فى الميزان، يقول ﷺ "ليس يتحسر أهل الجنة على شئ إلا على ساعةٍ مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها"[١] ويجب ان ندرك جميعاً أن ذكر الله مع فعل المنكرات أو عدم تغيير المنكر الذى تراه أعيننا، أو تراه الزوجة والأولاد فى منازلنا كالبرامج والأفلام التى لاتلتزم بتعاليم الإسلام، واللامبالاه بمشاهدة الرقص والغناء وغير ذلك وعدم تغيير المشاهد إلى ما يفيدنا فى الدنيا والآخرة، كالبرامج الدينية والتعليمية الهادفة، فإن كلمة لا إله إلا الله أو كلمات التسبيح لن تفيدنا، ولن تدفع عنا العذاب والنقمة من الله تعالى، طالما أن أعيننا تعودت على هذه المشاهد ولم يغيرها المسلم إلى ما يرضى ربه لأن كل راع مسئول عن رعيته، وفى ذلك يقول ﷺ "لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها قالوا: يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بمعاص الله فلا ينكر ولا يغير"[٢]...،

فهيا نردد كلمات الذكر من قلوبنا ونحن ندرك تماماً حقوق الكلمات، وهى أن نتفكر فى معناها، وأن تكون مقترنة بالتأمل فى خلق الله، وأن تكون مصحوبة بالخشية من الله تعالى، وذلك بعدم فعل المنكرات أو الرضا بها فى منازلنا أو من حولنا، ولكن علينا بالنصيحة فى بيوتنا وخارج بيوتنا، حتى نأخذ بأيدى بعضنا البعض إلى طريق الجنة وحتى يلحق بنا أهلنا فى

---

[١] رواه الطبرانى فى الكبير، والبيهقى فى الشعب عن معاذ صحيح الجامع الصغير رقم ٥٣٢٢ – صحيح الدعاء المستجاب صـــ١٣

[٢] رواه الأصبهانى عن أنس بن مالك ـــ الترغيب والترهيب الجزء الثالث صـــ٢٣١

الجنة...، يقول تعالى "واللذين آمنوا وابتعتهم ذريتهم بإيمان، ألحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شئ" ويقول تعالى "يا أيها اللذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة"

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا عند النبى ﷺ فسمعنا وجبةً، فقال النبى ﷺ: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر أرسله الله فى جهنم منذ سبعين خريفاً، فالآن حين أنتهى إلى قعرها"[١] فما أطيب النصيحة، وما أجمل كلمات الذكر، حين تكون الثمرة ثراءاً بلا حدود، دون جهداً أو مشقة...، ولكنها كلمات ترطب اللسان ويطمئن بها القلب، وتنجى من آفات اللغو وأضراره، وتجعل الشعور يسبح بالأمل فى نعيم بلا حدود، وجنة عرضها السماوات والأرض...،

---

[١] رواه مسلم ــ الترغيب والترهيب صـــ٤٧١ الجزء الرابع

الغفلة والحقيقة

مع بريق الحياة يغفل الناس الحقيقة...،
وتأخذهم الأحلام والأمانى إلى بعيد...،
وأحياناً يفيق الإنسان من غفلته، فيدرك أنه كان واهماً، وأنه كان يبحر فى قلب الأمواج بلا سفينة أو مجداف...،
فاليوم الذى يمضى يقترب بنا نحو تلك الحقيقة بلا جدال...، فإنما نحن أيام إذا ذهبت، ذهب بعضنا، وتوشك الأيام كلها أن تنقضى فنذهب كلنا.

واليوم الذى يمضى فى خاطرى قد مات، واليوم الذى نعيشه فى خاطرى سيموت وهكذا تظل أيامنا بين الموت والحياة، حتى يصمت كل شئ، وتكون البداية حين يبدأ الحساب فإما سعادة وإما شقاء.

والموت هو الحقيقة التى لابد منها، وأيامنا التى نعيشها ونغتر بها تمر بنا لتنتهى حتماً إلى تلك الحقيقة...،
فهل أعددنا أنفسنا لهذا الرحيل؟حيث هذا المكان فى تلك الحفرة العميقة المظلمة...، وحيث التراب الذى ينهال على الإنسان، وحيث ينصرف الأهل والناس والأولاد والأحباب وحيث يظل الإنسان وحيداً إلى يوم القيامة...، لا أنيس له سوى عمله الصالح إن كان من الصالحين، أو الغربة والضنك والعذاب باللّيل وبالنهار إن كان من العاصين الغافلين...، يقول تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشاً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[1].

---

[1] سورة طه أيه ١٢٤

لقد بين لنا النبى ﷺ أن أكيس الناس وأذكاهم، أكثرهم للموت ذكراً واحسنهم لما بعده استعداداً، فمن ترك نفسه للغفلة كانت الخسارة بلا حدود، لأن ضياع الجنة ليس بالشئ القليل...، والوقوع فى النار، ليس بالأمر الهين، لذلك فما أشد التحسر والندم يوم القيامة على قلوب الغافلين...، وعلينا أن نتصور يوم الحساب ، وما سيكون فيه من الأهوال حين تدنو الشمس من الرؤوس، ويتصبب العرق من الخلائق، كلُ بحسب عمله، ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وحتى تكون كلمات العباد لأحبائهم يوم القيامة نفسى نفسى ولن ينفع الأخ أخيه...، ولكى نفيق من غفلتنا علينا أن نتصور النار وعذابها وذلك بتدبر الآيات التى تشير إلى ذلك فى القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وسؤال أهل العلم وبالقراءة والإطلاع الدينى، وأن نترك لأولادنا وزوجاتنا من الكتب الدينية ما يساعدهم على معرفة الحقيقة، واليقظة من الغفلة بمعرفة العذاب فعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال "إن أهون أهل النار عذاباً رجل فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم.[١]

فليتصور كل منا هذا العذاب الذى هو من أقل العذاب يوم القيامة، هل يتحمله الغافلون، وهل يتحمله تاركوا الصلاة، وهل تتحمله المتبرجات، الكاسيات العاريات، وقد قال عنهم النبى ﷺ "لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها"[٢].

---

[١] رواه البخارى ــ الترغيب والترهيب صـــ٤٨٧ الجزء الرابع ــ القمقم ــ ما يسخن فيه الماء

[٢] جزء من حديث رواه مسلم (٢/٢٨) علامات يوم القيامة صـــ٧٤

وهل يتحمل هذا العذاب من كان عاقاً لوالديه؟ يقول ﷺ "ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لايجدها عاق ولا قاطع رحم"[١]...، وهل يتحمله المتكبرون وقد اخبرنا ﷺ أنه لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، فما بالنا بمن يضيع عمره فى الغرور والكبر على خلق الله، وقد غفل عن أصل تكوينه من الماء المهين، وغفل أيضاً عن إنتقام الجبار المتكبر الذى لايليق الكبر إلا له، فعن أبى هريرة رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحداً منهما قذفته فى النار﴾[٢]

فما اشد عذاب النار وما أبعد قعرها، فقد ورد عن خالد بن عمير: قال: خطب عتبة بن غزوان رضى الله عنه فقال: إنه ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم، فيهوى فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً، والله لتملأنه أفعجبتم؟"[٣]...،

أما بالنسبة لمقامعها والتى يضرب بها أهل النار، يقول النبى ﷺ "لو ان مقمعاً من حديد جهنم وضع فى الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض"[٤].

ولنا أن نتصور ثقل هذا المقمع وحجمه فنجد أنه لايتناسب أبداً مع أحجامنا فى الدنيا، لذلك فإن الله تعالى يضخم فى أجساد أهل النار حتى يزداد

---

[١] رواه الطبرانى ــ الترغيب والترهيب صـــ٤٩٤ الجزء الرابع

[٢] أخرجه أبو داود فى سننه ــ الأربعون حديثاً القدسية صـــ٤٣

[٣] رواه مسلم ــ الترغيب والترهيب صـــ٤٧٠ الجزء الرابع.

[٤] رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد الترغيب والترهيب صـــ٤٧٤ الجزء الرابع ــ الثقلان ــ الإنس والجن

شعورهم بالعذاب، وفى ذلك يقول ﷺ "ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع"[١].

ويقول ﷺ "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحدٍ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث"[٢]...،

وبعد هذه الإنذارات من النبى ﷺ الذى لاينطق عن الهوى علينا أن نفيق من غرورنا بالدنيا وبالأيام التى تجرى بنا مسرعة دون أن نشعر بذلك، وعلينا ان نحاسب أنفسنا ونقارن عذاب النار بنعيم الجنة ونتصور هذا النعيم لنستعد له بالتقوى والخشية من الله تعالى والعمل الصالح وكثرة الذكر والتفكر فى خلق الله والشكر على النعم، يقول تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم"...،

وعلينا بالخشوع فى الصلاة لأن الشيطان يحاول بكل الطرق أن يُفسد عليك صلاتك لذلك يجب ان تعلم ان أكثر من ثلاث حركات فى الصلاة يمكن أن تبطل صلاتك وكذلك عدم التأنى والإطمئنان فى الركوع والسجود والجلوس بينهم، يمكن أن يرد عليك صلاتك ولا تُقبل، ولقد اخبر النبى ﷺ رجلاً كان ينقرّ فى صلاته بأن قال له صلِ فإنك لم تصلى...، أى أعد صلاتك مرة أخرى بخشوع وتأنى وتسبيحاً فيه التفكر والشعور بنعم الله فى نفسك ومن حولك إنها أشياء لاتتكلف فيها جهداً أو مشقة بالنسبة لما فى الجنة من أطيب النعم، ولنا أن نتصور النعيم لأدنى أهل الجنة منزلة، يقول ﷺ "إن أدنى أهل الجنة منزلة، لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمة وسرره

---

[١] رواه البخارى واللفظ له ومحلم وغيرهما الترغيب والترهيب صـــ٤٨٣ الجزء الرابع.

[٢] رواه مسلم ـــ الترغيب والترهيب صـــ٤٨٣ الجزء الرابع

مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله، من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشياً، ثم قرأ رسول الله ﷺ "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"[١].

وهل هناك أفضل من النظر إلى وجه ربنا عز وجل، خالقنا ورازقنا، والتفضل علينا بكل هذه النعم، وهو سبحانه يوم القيامة من فضله وكرمه، سيجعل المؤمنون فى الجنة يطمعون ويسقون ويكسون ويكون طعامهم على مائدة الخلد والتى يصفها لنا النبى ﷺ بقوله "إذا سكن أهل الجنة، أتاهم ملك فيقول: إن الله يأمركم بأن تزوروه، فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون، فيقولون لم يبقى إلا النظر فى وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سُجداً، فيقال لستم فى دار عمل، إنما أنتم فى دار جزاء[٢]

ومن نعيم الجنة أيضاً أن ظلها ممدود وأشجارها ليست محدودة كأشجار الدنيا يقول ﷺ "إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها، إن شئتم فاقرءوا وظل ممدود وماء مسكوب"[٣]

وحين يشتهى أهل الجنة لحم الطير، يأتى إليهم مطهواً فى الحال، وفى ذلك يقول النبى ﷺ "إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة، فتشتهيه، فيجئ

---

[١] رواه الترمذى وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى ــ الترغيب والترهيب صـ٥٠٧ الجزء الرابع والآيه ٢٠ من سورة القيامة.

[٢] رواه أبو نعيم فى صفة الجنة ــ الترغيب والترهيب صـ ٥٤٥ الجزء الرابع

[٣] رواه البخارى والترمذى ــ الترغيب والترهيب صـ٥١٩ الجزء الرابع والآيات ٣٠،٣١ من سورة الواقعة.

مشوياً بين يديك"[١]. وفى الجنة سوقاً يذهب إليها أهل الجنة، فيجدون فيها كل ما يسعدهم، وكل ما يحبون رؤيته وفى ذلك يقول ﷺ "إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال، فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً"[٢]

ولكى نفوز بالجنة، علينا أن نطهر أنفسنا من الشح والبخل، لأن الله كريم ومتفضل على عباده ولا يحب مجاورة البخلاء وفى ذلك يقول النبى ﷺ "خلق الله جنة عدن بيده، لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، وملاطها مسك، حشيشها الزعفران، حصباؤها اللؤلؤ، ترابها العنبر، ثم قال لها أنطقى قالت: قد أفلح المؤمنون، فقال الله عز وجل: وعزتى وجلالى لايجاورنى فيك بخيل، ثم تلا رسول الله ﷺ "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"[٣].

وهناك مقابلة الحور العين للمؤمنين المتقين، وهناك أنهار الجنة التى تجرى من تحتهم بالماء والخمر واللبن والعسل، وصورتها التى تبعث السعادة فى الصدور بلا حدود وحين يقف المتقين على أبواب الجنة، ويطرقون أبوابها، يصف لنا النبى ﷺ تلك المقابلة، وهو يحكى لعلى بن أبى طالب عن وصف دخول المتقين الجنة، يقول ﷺ "والذى نفسى بيدى، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استُقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من أحدهما جرت فى وجوههم بنضرة

---

[١] رواه ابن أبى الدين والبزار ، البيهقى ـ الترغيب والترهيب صـ٥٢٧ الجزء الرابع

[٢] رواه مسلم ـ الترغيب ، الترهيب صـ٥٣٩ الجزء الرابع

[٣] رواه ابن أبى الدنيا ـ الترغيب ، الترهيب صـ ٥١٣ الجزء الرابع

النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفيحة، فلو سمعت طنين الحلقة يا على فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتستخفها العجلة، فتبعث قيمها، فيفتح له الباب، فلولا ان الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجداً مما يرى من النور والبهاء، فيقول أنا قيمك الذى وكلت بأمرك فيتبعه، فيقفو أثره، فيأتى زوجته، فتستخفها العجلة، فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول: أنت حبى وأنا حبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً، وأنا الخالدة فلا أظعن أبداً فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت، طرائق حمر، وطرائق خضر، وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتى الأريكة، فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً على كل فراش سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حُله، يرى مخ ساقها من باطن الحُلل، يقضى جماعهن فى مقدار ليلة، تجرى من تحتهم أنهارُ مطردة، أنهار من ماء غير آسن صافٍ ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وانهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الألوان شاءوا، ثم تطير فتذهب، وفيها ثمار متدلية، إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم فيأكلون من أى الثمار شاءوا إن شاء قائماً وإن شاء متكئاً وذلك قوله: ﴿وجنا الجنتين دان﴾ وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ"[1] وهذا هو وصف النعيم فما بالنا بمن يتذوق هذا النعيم ويعيشه بكيانه وشعوره، حين يكون من أهل الجنة، إنها بالفعل سلعة غالية، تستحق منا أن نفيق من غفلتنا ونسارع إلى التوبة، والعمل

---

[1] رواه ابن أبى الدنيا أيضاً والبيهقى وغيرهما من عاصم بن حمزة عن على موقوفاً عليه بنحوه وهو أصح وأشهر – الترغيب والترهيب صـــ٤٩٤ الجزء الرابع ومعنى طرائق: أى طرق مختلفة الأشكال.

الصالح والخشية من الله تعالى وذكره في كل وقت وحمده وشكره على نعمه حتى نكون من الفائزين بهذا الخير، والذي إذا ضاع بغفلتنا وغرورنا بالدنيا فما أشدها من حسرة وما أصعبه من ندم...،

نور الإسلام وثقافة العالم

حين جاء الإسلام بفضل الله أضاء الكون بنوره وانتشرت تعاليمه وأثر بكنوزه الطيبة فى الشرق والغرب وغرس فى قلب كل من أخذ به وسار على نهجه أملاً بلا حدود..، وكانت بدايته كلمة التوحيد ونهايته جنة عرضها السماوات والأرض....، وكان شعاره دعوة الخير لكل البشرية، وكان النصر له على كل من حالف الشيطان وعارض تلك الدعوة لأنها دعوة الحق من الله، فتوالت إنتصاراته حتى أصبح المسلمون هم سادة العالم فى كل مكان، وجاء العصر الذى أصبح المثل الأعلى للأوربى أن يتشبه بالعربى المسلم فى أنماط التفكير وفى أنماط المعيشة بل وفى لغة اللسان....، وحتى أنه لم يكن مثقفاً ولا متحضراً فى رأيهم من لايحسن اللغة العربية ومن لايدرس الثقافة الإسلامية، والذى ربما يغفل عنه الكثيرون هو أن العرب المسلمون هم مؤسسو كل العلوم التى يمتلكها الغرب الآن وفى ذلك إعترافات الغرب من المسلمين وغيرهم يقول الفيلسوف الفرنسى "رينيه جينو" الذى أسلم وتسمى عبد الواحد يحى، العرب المسلمون هم مؤسسو الكيمياء التجريبية والطبيعة العلمية والجبر والحساب بمعناه الحديث وحساب المثلثات وعلم طبقات الأرض والاجتماع وغير ذلك من مختلف العلوم والمعرفة، وينبهنا إلى وجود الأثر الواضح لملكيتهم لهذه العلوم، وهى تلك الكلمات العربية الأصل التى تستعمل فى كل اللغات الأوربية حتى الآن....، فالكيمياء إحتفظت دائماً بإسمها العربى وكذلك علم الفلك أكثر إصطلاحاته الخاصة ما تزال محتفظة فى كل اللغات الأوربية بأصلها العربى، كما أن كثيراً من النجوم ما يزال علماء الفلك فى كل الأمم يطلقون عليها أسماءها العربية.

وبالفعل كان لابد من هذه النهضة للمسلمين فالقرآن نبهنا إلى التفكر والسعى لطلب العلم واستمد المسلمين منه معرفة العلوم المختلفة بالتأمل فى

آياته التى تتحدث عن إبداع الله فى كونه وما به من الأسرار والنعم، لذلك كان للعرب الفضل الأول فى حضارة الغرب لحرصهم على العلم كما أمرهم الله ورسوله فهم أول من إهتم بصناعة الورق والطباعة والترجمة، وجامعاتهم مثل قرطبة والأزهر كانت مركز إشعاع ثقافى للشرق والغرب، ويقول المستشرق الأجنبى "جوستاف لوبون" إن القوة لم تكن عاملاً فى إنتشار القرآن فقد ترك العرب الذين فتحوا البلاد المغلوبين من أصحاب الديانات الأخرى أحراراً فى أديانهم، وكان ذلك مقابل دفع الجزية، فإذا حدث أن إعتنق بعض النصارى الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدالة الغالبين ولما لمسوه فى الإسلام من سهولة ويسر لم يعرفوها من قبل. ولم ينتشر الإسلام بالسيف وإنما بالدعوة وحدها، كذلك فإن إسلام كثير من المستشرقين بسبب سماحة الإسلام يدل على أن كل من دخلوا الإسلام دخلوه عن إقتناع.

والدليل على ذلك أنه فى مؤتمر للبحوث فى الفقه والتشريع الإسلامى ومقارنته بالقوانين والتشريعات الأخرى المختلفة برياسة "المسيو ميو" أستاذ التشريع الإسلامى فى كلية الحقوق جامعة باريس، وقد حضره عدد من رجال الفقه الإسلامى ورجال القانون فى العالم الغربى، وأثناء المناقشة والشرح وبعد عرض بعض البحوث الفقهية الإسلامية وما تتميز به قام أحد نقباء المحامين السابقين فى باريس من بين الحاضرين قائلاً: كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامى وعدم صلاحيته أساساً تشريعياً يفى بحاجات المجتمع العصرى المتطور وبين ما نسمعه الآن مما يثبت خلاف ذلك تماماً ببراهين النصوص والمبادئ، ولم تكن هذه الشهادة من هذا الرجل إلا لأنه فهم حقيقة التشريع الإسلامى ووجده يمتاز بالمرونة والصلاح لكل زمان ومكان، وتذكر أن كل ما كان يسمعه من الغرب هو تضليل بلا أدلة لإبعاد الناس عن الدخول فى الإسلام، ذلك وإن بعض القواعد الفقهية

الإسلامية فى بعض المسائل نجد أن الله ترك لنا الأخذ بما هو صالح حسب ظروف كل عصر وكانت هناك الفرصة للإجتهاد فى بعض المسائل حتى يعمل عقل المسلم فى حدود ما يرضى الله وله الأجر على إجتهاده، وبالإضافة إلى ذلك فإن القانون الإلهى لاتجد فيه ثغرات كقوانين البشر فالبشر يعتريه الخطأ والنسيان والعمل أحياناً للمصلحة الذاتية، ولم يكن تميز الإسلام فى تشريعه فحسب ولكنه أخرج البشرية من الظلمات إلى النور ونبه إلى البحث ودراسة العلوم المختلفة فبرع العرب المسلمون فى الكثير من العلوم، كعلم الفلك والكيمياء والطب والتشريح والجراحة والتداوى وعلم الجبر والأعداد الحسابية وغير ذلك من الإختراعات التى نقلت إلى الغرب كالساعة المائية التى أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الأمبراطور شارلمان وغير ذلك من الإختراعات، كذلك فإن أسس النهضة الصناعية كانت من وضع العرب فقد إشتهروا بعبقريتهم فى صناعة الآلات وإختراعها، وفى القرن الثانى عشر الميلادى إهتموا بالدراسات الكيماوية لتكتل أوربا ضدهم وأخترعوا المادة المفرقعة وفى القرن الثالث عشر الميلادى أخترعوا مادة مفرقعة دافعة للصواريخ واستخدموها فى حروبهم ضد الصليبيين ويقول المؤرخ حسن الرماح فى مخطوط يرجع إلى سنة ١٢٧٥ ميلادية، كان العرب فى الأندلس هم أول من إستخدم الطوربيد المشحون بالمواد المفرقعة يقذفه صاروخ وبه مفجر من ثلاث محركات واستخدموا ذلك فى حروبهم، ولقد كان أساس علم الجبر هو كتاب ألفه الخوارزمى العالم المسلم وتقول الدكتورة الألمانية "زيجرد هونكيه" التى أخرجت كتاباً ضخماً بعنوان فضل العرب على أوروبا، من الملاحظ أن الأعداد العربية وجدت طريقها إلى أوروبا عن طريق كتاب الخوارزمى فله الفضل فى جعل الحساب علم صالح للحياة اليومية، وتقول إن أصحاب الفضل فى إيجاد البوصلة وإختراعها هم العرب، ويعترف الصينيون أنهم لم يكونوا يعرفون إستخدام البوصلة فى

الملاحة وكان يستخدمها العرب ولقد أخذها الصليبى "بطرس فون ماريكورت" وأهداها إلى أوربا وتضيف قائلة: إن الطب الصحيح لم يكن إلا عند المسلمين العرب فالدراسات الطبية عندهم كانت تقوم على أسسعلمية وهم أول من فرق بين الطب والصيدلة فقد أسس العرب أول صيدلية عامة فى القرن الثامن الميلادى فى عصر الخليفة المنصور، كما أوجدوا صيدليات متنقلة مع المستشفيات المتنقلة وذلك فى الوقت الذى كانت الكنيسة فى أوربا ترى أن إستخدام أدوية غير روحية أو إحتراف مهنة الطب عمل مشين. هذا وإن الإمام الرازى أول من نبه لضرورة تجربة الأدوية على الحيوانات وأهتم بحالة الطقس ومواقع الأقاليم من حيث الحرارة والرطوبة، وله بحوثه عن سبب جذب المغناطيس للحديد وبحثه فى كروية الأرض، وأن الشمس أعظم من الأرض وأن القمر دونهما، كما أن علماء المسلمين لهم السبق فى معرفة الجراحة والتخدير الكامل واهتموا بأمراض العيون وعلاجها، ووضعوا كتباً للعلاج النفسى وكان ابن سينا هو أول من استخدم التشخيص وأول من شخص الإلتهابات الجلدية والتغذية عن طريق الأنابيب، وتعرض لبحث سرطان المعده، ولاحظ العدوى التى قد تنشأ عن السل الرئوى وخطر الأشعة الشمسية على المصابين بالسل وبرع فى تشخيص الأمراض المختلفة...،

وبالنسبة للفلسفة لم تكن هناك وسيلة لتعرف أوربا الفلسفة اليونانية إلا عن طريق الثقافة الإسلامية، لأن التراجم اللاتينية لم تنقل أو تترجم من الأصل اليونانى مباشرة وإنما أخذت من التراجم العربية وأضيف إليها ما كتبه المعاصرون مثل ابن رشد وابن سينا فى الفلسفة الإسلامية، ولقد كان هارون الرشيد يقيم الندوات العلمية وكان قصره مسرحاً لمختلف العلوم والثقافات، ويروى لنا التاريخ أنه استدعى العلماء اللذين يجيدون اللغات وكون منهم هيئة علمية مهمتها تقدير التعويضات التى يجب أن تدفعها الدول

المهزومة وهذه التعويضات يجب أن تكون كتباً علمية...، وجاء من بعده المأمون فكون مجمعاً علمياً للقيام بأعمال الترجمة وفعل ذلك من جاء بعده فجمعت ثقافات مختلفة ونظريات متباينة وبذلك حفظ العرب المسلمين للغرب العلوم وأضافوا إليها بعد صهرها فى بوتقة الإسلام وأضفوا عليها روح الإسلام القوية فاستبقوا منها ما ينفع الناس ولا يتنافى مع الخلق والفضيلة والنفع البشرى العام، وتقول الدكتورة الألمانية من النادر أن نجد أوربا تعترف بذلك الفضل للعرب، بل ينسبون ذلك ظلماً وخطأً لغيرهم، لكن التاريخ يؤكد أن العرب المسلمين بمؤلفاتهم العظيمة هم أساتذة أوربا ثقافياً...، فقد ترجمت كثير من كتبهم فى القرن الثالث عشر الميلادى فى كثير من النواحى المختلفة وبدأ علماء الغرب فى الإنتفاع بها والبحث فيها ونشأت فيهم نهضة عقلية تشبعت من علوم العرب كما يتشبع الإسفنج الظمآن بالماء وتضيف أنه إذا كان العالم الحديث يتمتع بقسط وافر من النظافة والقواعد الصحيحة فالفضل فى ذلك يرجع إلى العرب المسلمون، وما أعاروه إلى أوروبا من سلوكيات وعلوم صنعت لهم حضارة مدنية جملت الحياة الأوربية اليومية كما أضفت عليها مظاهر البهجة والجمال...، وتقول إن مرجع هذه النهضة عند المسلمين والسبق الحضارى هو العقيدة الإسلامية التى نشأت فيهم وقام بتوجيهها رسول منهم آخى بين معتنقى دعوته وخلق فيهم أُخوه إسلامية قوية كالبنيان المرصوص...،

وبالفعل حينما تمسك المسلمون بدينهم وعبرت محبة الله قلوبهم وسعوا لنشر الإسلام ورفع راية التوحيد بكلمة لا إله إلا الله والعمل بتعاليمها بإخلاص وقوة إيمانية أصبحوا فى فترة وجيزة هم سادة العالم فنشروا العلم وبحثوا عنه وحفظوا للعالم علومهم المختلفة عن طريق ترجمة الثقافات الأجنبية إلى العربية مثل كتب التشريح والقوى المحركة والرياضيات والأجسام الطافية لأرشميدس والبصريات لبطليموس وغيرها ولولا إخلاص

المسلمين وحرصهم على الثقافة ونشرها بتحريض من دينهم بعدم كتمان العلم لظلت الثقافات القديمة دفينة ميتة مع أنقاض الحروب الكثيرة ومرور الزمن لكنه نور الإسلام الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور وأمر بالعلم ورفع مكانة العلماء...،

المراجع

- الله والعلم الحديث ــ عبد الرازق نوفل ــ دار الشروق.
- حياة الصحابة ــ محمد يوسف الكاندهلوى ــ الريان للتراث.
- والموعد الله ــ خالد محمد خالد ــ أخبار اليوم.
- وقفات حاسمة بين يدى علامات الساعة الآتية ــ سعيد عبد العظيم ــ العقيدة للتراث.
- الأدلة المادية على وجود الله ــ الشيخ محمد متولى الشعراوى ــ أخبار اليوم.
- مجموعة مقالات عن الإعجاز العلمى فى القرآن والسنه ــ دكتور زغلول النجار.
- الإعجاز العلمى فى القرآن ــ دكتور السيد الجميلى ــ دار العلم للتراث.
- الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ــ دكتور زغلول النجار ــ أخبار اليوم.
- من روائع الإعجاز العلمى ــ دكتور عاطف قاسم المليجى ــ النهار للنشر والتوزيع.
- معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ــ أحمد رجب محمد ــ مطبعة محمد صبيح.
- رجال حول الرسول ــ خالد محمد خالد ــ دار الكتب الحديثة.
- سلسلة دراسات فى الإسلام ــ دكتور محمد سلام مدكور ــ الإسلام وأثره فى الثقافة العالمية.
- مراجع أخرى عن الإعجاز البلاغى فى القرآن الكريم.

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية – ٢٠٠٤/١٦٦٣٤